من الأدب الساخر

182

كوابيس مضحكة !

يوسف معاطى

مكتبتنا
كنوز من المعرفة
http://www.maktbtna2211.com

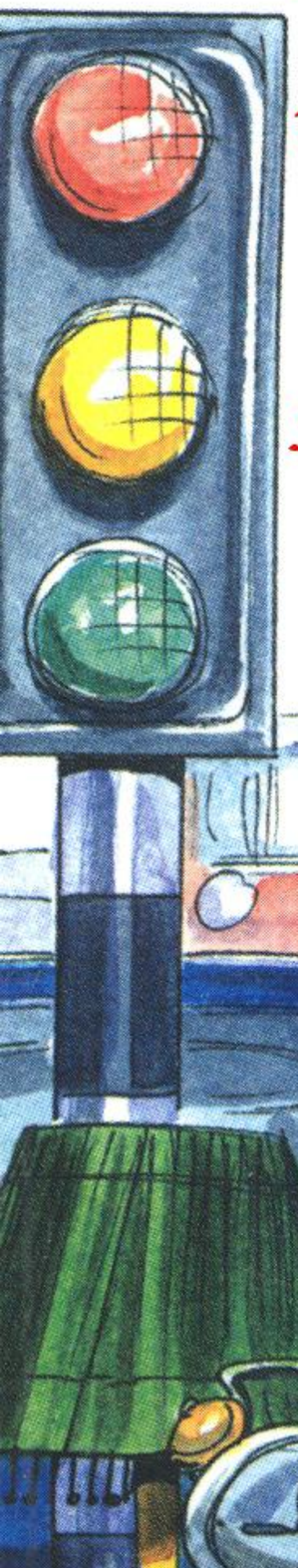

Ahmed Mady

الدار المصرية اللبنانية

9 Feb. 2012
Riyadh

Accident

كوابيس مضحكة !

فى هذه الكوابيس المضحكة.. المبكية، سيكلمك يوسف معاطى عن نجوم وشخصيات عالمية، وكأنه التقى بهم أو عرفهم، وهذا لم يحدث بالطبع، لأن كل ماستقرأه هنا هو مجرد تخاريف وهلاوس لشخص نائم، فإذا أعجبتك هذه الكوابيس فاقرأها وتوكل على الله، لتعرف إلى أى حد نحن طيبون نتعاطف مع دودى وديانا، ونغضب للمصرى الذى كرهه الإنجليز دون أن نسأل أنفسنا عن طبيعة هويته. حتى أن يوسف معاطى يذهب إلى الأمير تشارلز بعد أن تقع الملكة فى عرضه ليمنعه من الجواز من كاميلا باركر، موضوعات أخرى كثيرة التقطها يوسف معاطى بحسه الساخر دون أن ننتبه نحن إليها، ليجعلها فى بؤرة الوعى والضوء ويعدك المؤلف أنه إذا لم تعجبك هذه التخاريف والكوابيس فإنه هيتغطى كويس. ويبطل يخرّف.

* الأستاذ يوسف معاطى كاتب ساخر يعرفه قراء الصحف والمجلات.. ويستمتع بأعماله الكوميدية مشاهدو التليفزيون ورواد السينما والمسرح.

* وقد أصدرنا له من قبل مجموعة من كتبه فى الأدب الساخر، أشهرها: الفن وأهله.. عفاريت.. صايع بالوراثة.. وهى كتب متميزة حازت إقبالاً من القراء فى مصر والبلاد العربية.

* من أشهر مسرحياته الكوميدية: حب فى التخشيبة.. الجميلة والوحشين.. بوبى جارد .. بودى جارد .. بهلول فى استامبول .. لألأ بلاش كده .. وهى مسرحيات ناجحة قام ببطولتها كبار نجوم الكوميديا.

* كما كتب العديد من قصص وسيناريوهات الأفلام السينمائية الكوميدية أشهرها: التجربة الدانمركية.. عريس من جهة أمنية.. السفارة فى العمارة.. الواد محروس بتاع الوزير.. ياتحب ياتقب.. حانحب ونقب.

* كما ألف عددًا من المسلسلات الناجحة التى كان لها أثر كبير داخل المجتمع العربى مثل: عباس الأبيض فى اليوم الأسود.. سكة الهلالى..

الدار المصرية اللبنانية

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
13

6 222006 311124

من الأدب الساخر

كوابيس مضحكة !

يوسف معاطى

الدار المصرية اللبنانية

بسم الله الرحمن الرحيم

مكتبتنا
بيت الكتب

هل رأيت كابوسًا فى المنام وانتفضت مفزوعًا صارخًا؟! وهل قامت المدام النائمة بجوارك مفزوعة هى الأخرى لصراخك هذا؟! وهل كنت ترى فى كوابيسك شخصيات عامة أو بعض المشاهير؟ ستقول طبعًا: إنك مررت بكل هذا، ولكنى حدث معى العكس بالضبط؛ كنت أنتفض من نومى مسخسخًا من الضحك فجأة؛ مما زاد من فزع المدام. وقد تطورت حالتى أكثر؛ حيث بدأت نوبات الضحك هذه تأتينى وأنا مستيقظ!!

وفى كوابيس مضحكة، ستجدنى أكلمك عن نجوم وشخصيات عالمية، كأننى التقيت بهم أو عرفتهم؛ وهذا لم يحدث طبعًا، كل ما ستقرأه هنا مجرد تخاريف وهلاوس لشخص نائم، أو لنقل: نصف نائم، فإذا أعجبتك تخاريفى فأنا أعدك ألا أحرمك منها، أما إذا لم تعجبك، فأعدك أن أتغطى كويس!

يوسف معاطى

جات الأميرة تفرح مالقيتلهاش مطرح!!

بدأت علاقتى بالأميرة ديانا عام ١٩٨١، حينما دعيت لحضور حفل قرانها الأسطورى على الأمير تشارلز.

وقبل أن يتصور أحدكم أننى أبو لمعه، أو أننى فى الهرتلة الجامدة قوى.. أقسم لكم إن ما أقوله صحيح.. أقول بدأت علاقتى بها.. أما علاقتها بى فلم تبدأ حتى هذه اللحظة التى أكلمكم فيها.. أعنى أننى جلست فى البيت بالبيجاما الكستور المخططة، والتى كان أبى يحرص على أن يقطع أكبر عدد ممكن من الأمتار، تكفى بيجامات للبيت كله.. وكنا فى جلستنا أمام التليفزيون أشبه بالمساجين فى زينا الموحد. جلسنا نتابع زفاف الأميرة ديانا فى شغف وانبهار واستمتاع.. ودخلت ساعتها أمى زعيمة البهجة فى بيتنا المتواضع، لتضع طبقا كبير مملوءًا عن آخره بترمس، كانت هيه بلاَّه من أول امبارح، وطبقًا ثانيًا مملوءًا عن آخره فول حراتى وأكواب الشاى الجميلة.. وقزقزة وتعليقات..

إلى أن ظهرت ديانا على الشاشة فى Big close، يعنى تملأ الشاشة بوجهها الرقيق، وابتسامتها الساحرة، ومن فرط إعجابى بلعت فولاية حراتاية بقشرها وأنا أتسمر أمام جاذبيتها.. تلك هى كانت لحظة اللقاء الأول بينى وبين ديانا.

ولا أعلم لماذا شعرت بأن تشارلز ليس من نوعية الرجال اللى يعمر معاها.. برغم أنه وسيم أنيق.. مرتب فإنه تنقصه الحرارة.. حقًا تنقصه الحرارة.. وأفقت على أمى وهى تضع يدها على جبهتى وتقول لأبى.. الواد سخن نار يا أبو يوسف.

وبرغم أن ديانا تسرعت فى الـزواج، ولـم تختر الرجل الذى يملأ حياتها حبًا وحنانًا، فإننى بمنتهى الشياكة والروح الرياضية تمنيت لها السعادة مع تشارلز.. واعتبرتها منذ هذه اللحظة أختـى شقيقتى، ولم أنظر إليها تلك النظرة الأولى التى رفعت درجة حرارتى إلى درجـة الكمادات، وطاقيـة الثلج فـوق رأسى.. ومرت سنوات لـم أتابع فيـها تطورات حياة ديانا.. وهى طبعًا كانت مشغولة بزواجها والخلفة.. فانقطعت الصلة بيننا لفـترة.

وحينما اكتشفت ديانا أن تشارلز بيلعب بديله من خلف ظهرها، وأن له عشيقة إيطالية اسمها كاميلا، كان الانفصال، وكان الطـلاق، وكان الضياع والشحططة والشحتفة.. وكنا أنا وهى يعنى كلما نلتقى

أقول لها.. ادفعى ثمن اختيارك.. أنت التى أوقعت نفسك فى هذه الورطة. كل هذا كنت أقوله لها من خلال التليفزيون طبعًا.

المرأة هى المرأة، سواء كانت أميرة أو واقفة فى طابور الجمعية لتشترى جوز فراخ.. المشاعر نفسها والأحاسيس نفسها.. وقررت ديانا أن تنتقم منه.. فألقت بنفسها بين ذراعى السكرتير والحارس الخاص.. وهو انتقام عجيب.. فالمرأة حينما تريد أن تنتقم من رجل تعرف غيره، بعكس الرجل حينما يحب أن ينتقم من امرأة.. يتزوجها.. ولأننى شخصيًا لا أميل إلى روح الانتقام فكلما عرفت امرأة كنت أعطيها الفرصة كاملة للانتقام من رجل آخر.

ثم فجأة.. ظهر فى حياة ديانا فتى الأحلام الذى كانت تبحث عنه طوال حياتها.. عماد الفايد أو دودى كما نزل اسمه فى النعى.. ملياردير مصرى وسيم.. وسامته أقرب إلى نجوم السينما فى الخمسينات.. ويكسب على الريق مع كل طلعة صبح ملايين الدولارات.. كل هذا لا يهم.. الرجال الحلوين الأثرياء أكثر من الهم على القلب.. المهم أنه مصرى.. أخيرًا وجدت ديانا ضالتها المنشودة.. الحرارة.. ولأول مرة يرتفع ترمومتر قلب الأميرة إلى درجة الغليان فى بلاد الثلج والصقيع.. ولأن عائلة الفايد يملكون كل شىء فى لندن.. إلا الاعتراف بهويتهم.. فما بالك لو تزوج دودى من ديانا.. وأنجب طفلاً اسماه عبد الرحمن أو جاد الرب.. يلعب فى قصر الحكم مع

إخوته، ووليام سيحبه بالطبع، وسيتلقف منه الكرة فى الجنينة وهو يهتف.. أبد الرهمان.. إهدف الكورة.

ولكن.. هل سيوافق أحد على هذه الزيجة؟! خطر.. أنت تلعب بالنار يا دودى.. وهنا يتحول دودى الفايد إلى دودى الفاقد، ويلقى بنفسه فى الأتون الملتهب.. وبمصريته الأصيلة أغدق عليها حبه وحنانه.. وليالى رقته وسحره.. وبجدعنته الإسكندرانية.. لم العيال وحطهم تحت باطه.. وأحبوه كما لم يحبوا أباهم.. حتى أن ابنها هو الذى خطبه لأمه.. وأحبها دودى.. بينما يراقب الفايد الكبير حلم العمر الذى أتى به إلى لندن زمان، وهو لا يتصور أنه سيتحقق.. صحيح أن الملكة كانت تزور محلاته بنفسها ولكن كزبونة.. إنما نسايب.. ياو عدى.

والتقيت مرة ثالثة بديانا.. لا.. هذه المرة ليست من خلال التليفزيون.. التقيت بها وجها لوجه.. فى الجريدة يعنى، وصورة ساخنة لها وهى تقبل دودى على اليخت.. وحمالة المايوه الأنيقة نازلة شويه.. ألم أقل لكم.. كانت تبحث عن الحرارة.. فوجدت فرنًا.. وحينما تأملت عينيها أحسست أن بهما حبًا.. وأنها الآن فى مرحلة الدهولة.. أما دودى الفاقد.. ففى مرحلة أنيل.. قصة حب رغم أنف الجميع.. رغم أنف التقاليد الإنجليزية العتيقة والعصبية العمياء.. لا حكم ولا سلطة ولا ملايين.. لا شىء يساوى جملتين

I Love you Diana
I Love you too

وطار العاشقان فى رحلة الحب المستحيل.. كأننى أشاهد فيلم "بعيدًا عن الأرض" أو فيلم "أيـام فى الحـلال".. يا للمصادفة كلاهما إخراج حسين كمال، وكأنـه هو الذى أخرج حكاية ديانا ودودى.. ويزور العاشقان فى رحلتهما قصر وندسور.. هذا الملك العاشق الذى تنازل عن العرش من أجل مغنية أمريكية هام بها عشقًا، بصوته الدافىء الحنون يهمس لها دودى بتلميحة مصرية ذكيـة: هنـا يرقـد رجل ترك كرسى الحكم من أجل امرأة يحبها.. وترد ديانا وقـد ذاب الجليـد الذى كـان يكسو حياتها: وأنا سأترك الكون كله من أجلك.. متـى سنتزوج!! وانتقلت الجملة الأخـيرة عبر أجهزة التنصت إلى أجهزة ضخمة ورهيبة.. واجتمعت مجموعة من الرجـال يشبهون هريدى وصميدة اللى كانوا عندنا فى الصعيد زمان أيام الثأر.. قال مستر جلادستون لمستر هاردستون.. وبعدين.. البرنسيس كده حتخلى اللى ما يشـترى يتفرج علينـا يا مستر هاردستون، فأجاب هاردستون بحكمة.. تمشى معاه آه.. إنما تتجوزه لأ.. لأ.. وخبط على المنضدة بيده وقـال.. قبـل ما يحط راسنا فى الطين ويتجوزها.. لازم أخلص عليه وعليها الفاجرة.. وبعد العشاء الأخير.. كان بعضهم من أتباع هريدى وصميدة.. قصدى جلادستون وهاردستون يختبئون لهما فى الذرة..

آه.. آسف لا يوجد ذرة فى باريس.. قصدى جنب النفق.. وانتهت القصة نهاية مأساوية رهيبة.. رغم أنف الحب.. لم تستطع مليارات دودى والحراس والسلطة أن تحمى هذا الحب.. نحن فى زمن بلا قلب يا أعزائى.

أنا أحمد ربنا أننى فقير ومش لاقى اللضا.. أستطيع أن أمشى أنا وحبيبتى على الكورنيش وجايبلها زر بطاطا، وكوز دره مشوى وذاللها بالكوزين.. لن يلاحقنى المصورون ولن يحسبوا عليا عدد أنفاسى.. وإذا أحببت واحدة.. وأهلها رفضوا.. تقدر تروح برضه وتاخد وتدى معاهم فى الكلام.. بنتك فى عينيا يا حاج.. مش ح أخليها عاوزة حاجة.. والدنيا تمشى.. كل صراعاتنا حول السلطة والفلوس أوهام.. أوهام يا ناس.

قالت لى وهى تقود السيارة وأنا جالس بجانبها شاردًا.. بتفكر فى إيه يا دودى، انزعجت وقلت لهـا.. يا إيـه.. المصيبة أن السـيارة كانت داخلـة ع النفق، نفق الجيزة يعنى.

ليالى العمر.. مع دودى

حد يرد عليا يا إخواننا؟! حد يكلمنى طيب.. سأظل هكذا أكلم نفسى.. كثيرًا ما تخطر على رأسى أفكار وتطق فى دماغى أشياء، ولكننى أطردها بسرعة، وأحول القناة التى فى رأسى إلى قناة أخرى بها أفكار معقولة.. وهذه مسألة مهمة جدًا بالنسبة للكاتب أن يكون عنده زرار التحويل هذا، ومهمة أيضًا بالنسبة لأى حد.. أن تستطيع أن تحول.. فإذا دخلت بيتك ولقيت حماتك جاية تقعد عندكو أسبوع حوِّل.. روح انزل فى أى لوكاندة.. وإذا مررت بالجزار ووجدته يعلق يافطة ثلاثين جنيهًا لكيلو اللحمة حول.. عربية الفول على أول الشارع.. وإذا كنت فى مكان ودخلت فتاة جميلة ترتدى نصف فستان ومعها صديقتها ترتدى النصف الآخر، وإذا ترجمت نظراتهما لك تلك الترجمة التى ترجم بها آدم نظرات حواء، فبالتأكيد ستخطر على بالك أفكار تستطيع أن تصفها بأنها أفكار ثورية.. هنا أيضًا يجب أن

تحول ولا أقصد هنا (الحول) بتاع العينين ده.. وإنما يجب أن يتدخل بوليس آداب الدماغ ويقمع هذه الثورة ويخمدها، وهى فى المهد حتى لا تتحول أنت إلى النيابة.

ولكننى هذه المرة لا أستطيع أن أسكت ولا أستطيع أن أحوِّل.. الفكرة مسيطرة على رأسى.. أريد أن أقولها، سيهاجمنى طوب الأرض. ولكن سأكتبها.. ولكن كيف.. آه يا دماغى.. لا.. سأكتبها.. سأقول.. لماذا كل هذا الحزن على ديانا ودودى؟ لماذا كل هذا اللطم والعديد والندب والشجن الأسطورى..؟ كلمتنى (س) وهى مختنقة بالدموع أثناء عرض الجنازة فى التليفزيون وقالت لى "سورى" إلغى مواعيدنا مش قادرة اتكلم.. وعياط.. ثم مش قادرة اتكلم.. معلش ح اقفل دلوقت.. ووضعت السماعة. حتى أمى الطيبة التى لم تقابل الملكة إليزابيث فى حياتها.. لترفع منها لا أكثر.. مسحت دمعة ومصمصت شفتيها فى حسرة وقالت.. يا قلبى يا بنتى اتخطفت.. لا دخلت دنيا ولا شافت حاجة.

السيارة السوداء الصغيرة تمشى فى كآبة بين باقات الزهور المهولة، وستمائة ألف نسمة (ثلاثة أضعاف تعداد سكان قطر) شغالين من صباحية ربنا.

رأى عام عالمى فى كل بقاع الأرض يعيش حالة كآبة.. حتى

صديقى شحتة "الوائع" المفصول من عمله، والذى يعيش عالة علينا.. يعلق فى أسى.. مسكينة واللهى البنت دى.. حقيقى مسكينة ما شافتش يوم حلو فى حياتها.. قال إيه.. قال الأخ شحتة صعبان عليه ديانا.. وهو أساسًا حاله يصعب على الكافر.. لو علم أهل لندن بظروف شحتة لعملوا له جنازة أكثر تراجيديا من جنازة ديانا.

وقال لى أحدهم.. المشكلة مش مشكلة ديانا.. المشكلة مشكلة الديانة.. إيه أنت مالكش عنين بتشوف بيهم ولا إيه.. دودى مسلم وديانا مسيحية، قلت له من قال لك إن دودى مسلم.. كان بيصلى الجمعة جنبك فى جامع مصطفى محمود؟ ده راجل عايش فى هوليوود النهاردة مع جودى فوستر، بكره مع بروك شيلدز.. شارون ستون على التليفون.. مادوناع السرير.. راجل مش فاضى، عايش.. ثم إن اسمه دودى.. عاش طفلاً مرفهًا مدللاً.. حتى إن اسم الدلع أصبح هو اسمه الحقيقى.. فأجاب شحتة الوائع.. وفيها إيه ما أنا شحتة ده اسم الدلع مش اسمى الحقيقى، قلت له وما اسمك الحقيقى.. أجاب.. شحاتة الوائع.. وعدت أقـول له دودى يا عزيزى كان يملك كل شىء.. وسيمًا.. غنيًا.. سعيدًا.. مرتاحًا.. طائرات خاصة ويخوت وفنادق وقصور، انتفض شحتة الوائع صارخًا وقال يا أخى أنت عمال تهاجم دودى.. ده ابـن بلدك يا أخى.. قلت له ومن قال لك أيضًا إنه

ابـن بلدى؟ دودى وأبـوه حفيت أقدامهما حتى يحصلا على الجنسية الإنجليزية، والراجل عاش هناك واشتغل هناك وصرف ملايينه هناك، ولما مات ماندفنش فى الغفير، اندفن هناك وسلسلة مطاعمه الشهيرة اسمها هارودز، مش بقالة الأمانة لصاحبها الفايد وشركاه، ونحن لم نأخذ منه ع النوته.. دودى سايح والعربى بتاعه مكسر شويه.

الجنسية المصرية ليست باسبور يا إخواننا.. داليدا أساسًا من شبرا ولكن هل هى مصرية؟ واحدة بتغنى بتقول.. هلوا يا بلادى.. وسالمة يا سلامة روهنا وجينا بالسلامة.. دى يتحجز لها فى أوتيل علطول.. وكام ورقة بردى على كام طبق فرعونى وتتصور جنب الهرم وخلاص..

وديانا أيضًا يا شحتة.. التى اعترفت أمـام الناس كلها على شاشة التليفزيون أنها عرفت رجالا آخريـن، وإنها خانت زوجها لأنه خانها فى أى ملة نقبل هـذا؟ أجاب شحتة بلغة العارف بعادات الدول.. لا هناك وضع وهنا وضع.. ملحوظة.. لم يغادر شحتة إمبابة الوراق إلا حينما جند فى الجيش.

قلت له يا عزيزى الخيانة فى إمبابة هى الخيانة فى لندن. مفيش فرق.. ويسألنى شحتة الوائع طيب لماذا جعلوا ديانا ملكة القلوب؟ قلت له لأنها تمردت على الشكل المحنط للملكية العريقة.. لأنها فعلت

كل ما يريد كل إنجليزى أن يفعله.. وعذرًا يا شحتة.. أنا لست عديم الحس وقلبى ليس مصنوعًا من حجر.. أنا مثلك حزنت على ديانا ودودى.. ولكن ما نوعية الحزن.. ما حجمه.. ما كيفيته..؟ زعلت عليهما لا أنكر، ولكن أنا عندى زعلى برضه.. وإذا كان المثل يقول: من شاف بلاوى غيره تهون عليه بلوته.. فأنا حينما شفت بلوة ديانا ودودى.. لم تهن عليا بلاويا.. ربما شعرت فى مصرعهما.. أن القرن العشرين فى نهايته يعمل ماتش اعتزال للحب.. ربما تأسفت على أولادنا بتوع القرن اللى جاى.. الذين سينظرون لعبد الحليم حافظ.. كما ننظر نحن لتحتمس الثالث.. ولاشك أن أعداء الحب يتغيرون فى كل زمـان.. فـإذا كان الباشا يصرخ فى بنته التى تحب شابًا ليس فى مستواها قائلاً.. ح أحرمك من الميراث.. فالباشا فى أيامنا..يحرمها من الحياة كلها.. تأثر شحتة الوائع.. والجالسون بكلامى.. وهتف بى صائحا.. ما تحدد موقفك بالظبط.. أنت زعلان ولامش زعلان.. قمت من الجلسة فجأة.. وقلت له.. أنا أروح أنام.

وعليكم الكلام

قالت الراقصة الشهيرة للصحفى الصغير.. أنا مش فنانة.. أنا تاريخ.. نفس الجملة التى قالتها حتشبسوت لقائد جيشها وعشيقها سنموت. أنا مش ملكة.. أنا تاريخ. وكليوباترا هى الأخرى قالتها لانطونيو.. يوم هزيمته فى موقعة أكتيوم.. ما عطلكش يا حبيبى لن انتظر حتى يأخذونى أسيرة ويمسحوا بيا البلاط.. أنا تاريخ..

والتاريخ هو عم كل هذه الفنون والآداب.. وهـو المجد الحقيقى.. ولذا فكل إنسان فى الدنيا يتمنى أن يكتب اسمه فى التاريخ.. وبرغم ما تحويـه كتب التـاريخ من متناقضات، إلا أنك فى النهاية لا يهمك سوى مقولة عادل إمام الشهيرة.. اسمى مكتوب!! طيب.

والمؤرخون يدخلون التاريخ أيضًا برغم أنهم لا يصنعونه.. وإذا خيِّرت بين أن أكون صانعًا للتاريخ أو مدونًا له.. لاخترت الثانى على الفور.. أريح بكثير.. أوضة متر فى متر وشوية ورق وقلم وعنوان من

إيـاهم.. المنح والمعاطى لأبو المعاطى.. والمؤرخون القدامى كانوا يكتبون التاريخ مرتين مرة فى السر ومرة فى العلن. فمثلا أيام الحاكم بأمر الله كان المؤرخون يكتبون: كان الحاكم بأمر الله معطاء.. كريمًا.. محبًا للخير.. كثير البر والتقوى.. خلاص كده.. الحاكم اتكيف وانبسط.. والكل اتعشى.. بالليل فى الخباثة.. نفس المؤرخ.. يبل طرف الريشة بلسانه ويكتب وهو ينظر حوله. وكان الحاكم بأمر الله سفاكًا للدماء.. زنديقًا.. شحيحًا.. محبًا للقتل.. وتظل كتب التاريخ هى الخزنة التى تحوى تراث الإنسانية كلها.

وحدث أننى فى طفولتى.. عرفت رجلاً بسيطًا بصمجيًا ليس عنده فكرة عن أى شىء فى الحياة.. كان صديقًا لوالـدى وكانـوا يسمونه "بطيخة" للتشابه الكبـير الـذى بين رأسه الأصلع وبينها.. وعلامة على جهله المطبق.. ولبطيخة قصة.. سمعتها من أبى، إذ شاءت الظروف أن يـدخل بطيخة السجن فى الأربعينيات بطريـق الخطأ.. حيث كان ماشيًا فى شـارع عماد الـدين.. وشعر بطيخة بأنـه يريـد أن يقضـى حاجـة ومزنـوق زنقـة لا يعلم بها إلاَّ الله.. ولأن بطيخة لم يكن معتادًا على أن يمسك نفسه.. دخل بسرعة إلى أقرب بيت.. وفى بـير السلم وقف بطيخة بكل شموخ وفـك أزرار البنطلون.. و.. و.. كأنك تشاهد تمثال رمسيس الثانى فى ميدان المحطة، وكـان البيت من سوء حظ بطيخة.. يلتقى فيه مجموعة من رجال المقاومة الشعبية..

يعدون المنشورات والقنابل، ودخل البوليس السياسى وقبض على الجميع.. ومنهم بطيخة قبل أن يقفل أزرار البنطلون.

فى السجن.. كان الفدائيـون يتناقشون بحماس ويطلقـون قنابـل الجمل الوطنية الرنانة. وبطيخة جالس بينهم طور الله فى برسيمه.. لا يعلم ما هى تهمته بالضبط.. هل تهمته أنه أراد أن يفك عن نفسه شويـه.. إلى أن سمع تلك الجملة التى خـرقت أذنيه.. قالها أحد الثوار.. يا جماعـة يعملوا اللى يعملوه المهم إن إحنـا ح نخش التاريخ.. واندهش بطيخة.. كيف يدخل الناس التاريخ.. واقترب بطيخة على استحياء وسأل الفـدائى.. تخشوا التاريخ إزاى؟! فأجاب.. إن من يعمل عملاً وطنيًا من أجل أمته.. يدخـل التاريـخ.. فسأله بطيخة.. طيب مـادام داخلـين داخلـين.. مـا تاخدونى معاكوا..

ابتسم الفدائى.. ساخرًا.. وقال له.. يا سيدى هى ليست رحلة.. يجب أن تكون قد فعلت شيئًا حقيقيًا حتى تدخل التاريخ.. فى التحقيقات اعترف بطيخة بأشياء لم يفعلها على الإطلاق.. قال إنه وزع منشورات.. وألقى بقنابل على معسكرات الإنجليز.. وأنه المخطط الحقيقى لكل شىء.. وانطس بطيخة حكمًا وكان فى غاية السعادة، وخرج من السجن وقد أصبح بطيخة شخصًا آخر تغيرت

لهجته وطريقته فى الكلام.. وصار بطيخة شخصًا تاريخيًا.. تقمصت عينه نظرة سعد زغلول.. وربى شارب الخالق الناطق محمد فريد.. وكان حينما يتكلم فى القهوة.. يقف ويمد يده إلى الأمام ويحنى ظهره قليلاً.. كأنه مصطفى كامل.. إذا سألته يا بطيخة مش ح تأكل لك لقمة.. ينظر لك بعظمة وغموض ويقولك: الأكل ليس هو الهدف الذى يسعى إليه الشعب، وإذا سألته ألن تنام يا بطيخة؟ يبتسم فى عظمة ويقولك: سأنام.. ولكن ضمير الأمة لن ينام، وصار بطيخة لا يتكلم إلا كلام كبير قوى.. وجمل رنانه كلها مأثورات.. وبعد الثورة تصور بطيخة أنه اليد الخفية التى أخرجت الإنجليز من مصر.. وكان إذا ضايقه أحد.. يحمر وجهه.. وينفعل ويشتم.. ويصرخ قائلاً أنا غلطان اللى ما سبتش الإنجليز يقطعوا فيكوا يا بلد، انتوا ما يتمرش فيكوا خير.. وإذا أهمله القهوجى قليلاً.. يقسم أنه سيصعد الموضوع إلى أعلى مستوى.. وإذا سخر منه أحد رواد المقهى.. ينفعل ويحلف ميت يمين.. إن السادات بكره ح يكون عنده خبر بالموضوع ده.. وظل بطيخة هكذا علمًا تاريخيًا.. ومحللا سياسيًا. وحينما ذهب السادات إلى القدس أقسم بطيخة ألاَّ يضع يده فى يد السادات بعد ذلك، لأنه حتى لم يأخذ رأيه فى خطوة كهذه.. ومات بطيخة وترك وصية قال فيها إنه يرفض بشدة فكرة أن يقام له تمثال فى أى من

الميادين العامة.. لأن التماثيل حرام.. ويفضل استبدال هذه الفكرة بإطلاق اسمه على إحدى المدارس بشرط ألا تدرس فيها اللغة الإنجليزية، لعدائه المفرط طبعًا للاحتلال الإنجليزى.. وشخصية بطيخة شخصية ليست استثنائية.. بل أكاد أجزم أننى أرى آلاف البطيخ فى حياتى.. لدرجة أننى أحيانًا أحس أننى أعيش فى شادر.. ولا أعلم لماذا ينساب إلى أذنى صوت الراحل الرائع صلاح جاهين وهو يقول.

ولدى إليك بدل البالون ميت بالون.

انفخ وطرقع فيه على كل لون.

علشان تشوف بعينك مصير الرجال.

المنفوخين فى الستره والبنطلون.

قال لى صديقى الجالس بجوارى وهو يسمع كلمات صلاح جاهين: آه والله.. كلام مظبوط.. وأومأ برأسه فى خبرة كبيرة وأضاف.. هو الأبنودى كده.. ده أسلوبه.. قلت له.. القصيدة لصلاح جاهين وليست للأبنودى.. تجهم وجهه لاعتراضى وقال.. بقولك الأبنودى.. أنا اللى بقولك.. دى حتتى بقى.. انفعلت وثرت عليه، وقلت له يا عم صلاح جاهين.. اغتاظ أكثر.. وقال.. لا معلش بقى.. لو فيه فى مصر ثلاثة بيفهموا شعر أبقى أنا الثلاثة دول.. ولكى

أريح نفسى غيرت الموضوع.. حتى لا تنفقع مرارتى.. تكلمنا فى الكورة.. فأرغى صاحبنا وأزبد وأقسم أنـه يفهم فى الـكورة أكثر من الجوهرى ميت مرة.. معلش بقى.. دى حتتى.. أنا اللى بقولك.. وتكلمنا فى السياسة.. وأخذ صاحبنا يدلى لنـا بتصريحات خطـيرة نسمعها لأول مـرة.. ثم غمز لى بعينه فى أهمية وقـال.. الكلام ده جـاى مـن فـوق.. من فـوق قـوى.. دى حتتى أنـا اللى بقولك..

الطريف أن صديقى هـذا العليم ببواطـن الأمـور لا يعمل ولا يفعل أى شىء.. يجلس هكذا طوال النهار يحاصرك بغزير علمه.. ويحبس دمك وهو يكلمك فى كل مجال من المجالات.. ويفحمك وهو يقول.. دى حتتى إلى أن مال عليا ذات يوم وهمس فى أذنى.. ألاقيش معاك ميت جنيه سلف.. فرددت عليه قائلاً.. والله ما كانش يتعز.. فتضايق جدًا وقال.. كيف.. مئة جنيه يا أخى.. مئة جنيه.. قلت معلش بقى.. دى حتتى..

الناس ح تقطع بعض يابو حميد..

قرأت قصة غريبة لكاتب صينى اسمه "لوشيون" عن آكلى لحوم البشر.. حيث إن خلافًا بسيطًا قد نشأ بين البطل وأحد أصدقائه.. ولما احتدم النقاش بينهما قام البطل بتقطيعه وتوضيبه وراح إيه؟! راح واكله.

ويقال أيضًا إن أم على فعلت ذلك مع ضرتها شجرة الدر.. وأم على هذه هى زوجة عز الدين أيبك، التى دخلت على شجرة الدر وهى فى الحمام وانهالت عليها بالقباقيب.. وقبل أن تلقى بها من الحمام السلطانى جثة هامدة.. نظرت إليها بعينين يملأهما التشفى والغل والفرح الشيطانى وقالت فى فرحة غامرة زى صباح بالضبط: آكلك منين يا شجرة آكلك منين؟! وراحت واخدالها قطمة، ونما إلى علمى أيضًا أن هند بنت أبى سفيان بعد أن قتل حمزة عم الرسول عليه الصلاة والسلام.. انقضت عليه وانتزعت كبده وأكلتها نيئة، هذا

برغم أنها لم يكن عندها فقر دم أو نقص فى الهيموجلوبين، ولكن تقول إيه!! دناوه. وفى أيام الفاطميين كانت تحدث مجاعات رهيبة حينما يجف النيل، ويقول ابن تغرى بردى المؤرخ العظيم إن الناس كانوا يأكلون الكلاب والحمير والقطط، وأن الكلب كان يباع بدنانير.. وحينما اشتدت المجاعة أيام المستنصر بالله الفاطمى أكل الناس بعضهم بعضًا.. وكان الأخ يخاف من أخيه والأب يخاف من ابنه، وكان الواحد يبقى قاعد فى أمان الله مايلاقيش لغلوغه!!

كانت أيام سودا ربنا ما يرجعها، فشىء فظيع أن تسأل جارك وأنت تشتم رائحة الشواء وهى طالعة من بيتهم، عاملين إيه النهارده على الغدا؟ فيجيب وابتسامة مخيفة تطل من عينيه عاملين مصطفى ابن خالتى، وجنبه شويه رز وشوربة.. أقولكم الصراحة أنا دمى نشف وأنا أقرأ عن هذه الأيام، وأتخيل نفسى أعيش فيها حينما كان قانون الحياة "يا آكل يا مأكول" لأننى بالطبع كنت سأصبح على رأس قائمة المأكولين.. وحمدت ربنا أننى أعيش فى عصر لا أحد يأكل فيه أحدًا، إلى أن استشعرت من جارى الذى يسكن فى الشقة المقابلة نظرات غريبة نحوى حينما كنت خارجًا من منزلى ذات صباح.. وكانت أسنانه تصطك ببعضها البعض ويبلع ريقه فى نهم.. أحسست أننى رغيف فينو لسه طالع من الفرن طازه، وأخذت ذيلى فى أسنانى وجلست على

المقهـــى القريب ألتقط أنفاسـى.. وأتى صديقى كمال وجلس بجوارى غاضبا وهو يقول.. يرضيك ياجو.. عشان صاحبى يقوم ياكلنى؟!!.. قلت له بجدية شديـدة هـل حاول أن يأكلك فعـلاً.. فأجـاب كمال.. بقولك أكلنى مش مصدقنى وأفقت من شرودى.. آه.. آه فهمت أكلك فى الفلوس يعنى؟! قال الأول أكلنى فى الكلام وبعدين أكل بعقلى حلاوة، وبعد كده لهط الشغلانة كلها.. قلت لنفسى إذن لا يزال الناس يأكلون بعضهم بعضًا، ولكن طريقة الأكل هى التى اختلفت.

وعندنا مثلاً فى الفن، الأكل على ودنه.. فالموزع يريد أن يأكل المنتج، والمنتج يريد أن يأكل الفنان، والكل يريدون أن يأكلونا نحن.. وحتى فى العملية الفنية نفسها الأكل موجود برضه. همس لى أحد الممثلين ذات مرة: مش عملت مشهد مع النجم الفلانى.. بس إيه.. أكلته فى المشهد.. بلعته بلع.. وانظر إلى التعبير الذى يختاره الممثلون للإشادة بقدرة الفنان التمثيلية يقولون.. ده غول ده بعبع.. ده مجرم.. وسادت هذه التعبيرات المفترسة واقعنا الاجتماعى أيضًا.. فتاجر يسمى نفسه الحوت وآخر يسمى نفسه الديب، وثالث يسمى نفسه القرش.. وأمشى مرعوبًا وأنا أتأمل هذه الأسماء على اليافطات وأشعر كأننى عماشه فى الأدغال.

قالت لى صديقة رقيقة ذات يوم: نفسى أشوف فيلم رعب بس إيه خليك قاعد جنبى أوعى تقوم. وذهبنا إلى السينما.. كان فيلمًا لممثلة الإغراء الرائعة أورسولا أندروز، حينما ذهبت إلى بلاد نمنم الذين يأكلون لحوم البشر، ووقعت فى براثنهم وبدأوا يجردونها من ثيابها تمهيدًا لأكلها.. وإحقاقًا للحق هيه تتاكل أكل، فإذا كانوا قد تعودوا على أن يأكلوا الخناشير أمثالى، فلا مانع بالطبع من أن يحلَّوا بأورسولا، وآكل لحوم البشر برضه يحب ينوَّع مش كل يوم رجالة رجالة.. ونظرت إلى صديقتى الجالسة بجوارى وجدتها تنظر إلى أورسولا نظرات مرعبة أكثر من آكلى لحوم البشر أنفسهم، وشعرت من نظرتها العدائية إنها تريدهم أن يعملوها بوفتيك أو لحمة مفرومة قبل أن يأكلوها.. وحينما بدأوا يقطعونها لم أستطع أن أنظر إلى الشاشة وأخفيت عينى بيدى، أما صديقتى فكانت مستمتعة بشكل كبير بالفيلم.. إلى أن وصل البطل وكان شابًا فارعًا وسيمًا ووقع فى براثنهم هو الآخر، هنا لم تحتمل صديقتى أن تشاهد المنظر.. صرخت فى فزع مش ممكن دول ح يقطعوه بينما كنت أقول لنفسى.. يغور فى داهية إحنا ناقصينه، أنا زعلان ع الشابة اللى اتخطفت من وسطنا دلوقت.. وخرجنا من السينما وذراعى فى ذراعها نتكلم فى الفيلم قلت لها.. أهى تخاريف.. حد برضه ياكل بنى آدم؟ قالت لى ليه لأ؟!!

الحاجات دى بتحصل.. ماقريتش عن الست اللى أكلت دراع جوزهـا!! الجملة خرمت أذنى، كان ذراعى لايزال فى ذراعها وكانت ماسكه عليـه بشدة.. فوقفت وقلت لها ببراءة شديدة وأنـا أبلع ريقـى وأفتعل الابتسام.. هـوه إحنا رايحـين فـين؟! مش ناخـد تاكسى أحسن!!

الإسكندر ودانه مقطوعة

لم يكن أحد يعلم أو يتصور حتى، أن الإسكندر الأكبر كانت إحدى أذنيه مقطوعة.. ويقال إن الإسكندر لكى يخفى أذنه المقطوعة هذه ابتدع الخوذة إياها التى تغطى الأذنين، فلكى يخفى أذنه المقطوعة.. غطى ودان الجيش كله.. إلى أن شعر فى يوم بألم فى أذنه.. وأرسل فى إحضار الطبيب، ولأول مرة يخلع الإسكندر خوذته ويكشف ودنه ع الغريب.. ولكنه قبلها قال للطبيب لو حد بس خد خبر بحكاية ودنى ح تشوف أيام أسود من قرن الخروب.. وارتجف الطبيب وهو يكشف على ودن الإسكندر.. وخرج من عنده يحمل بداخله السر الرهيب الإسكندر ودنه مقطوعة.

كان من الممكن أن تمر المسألة مرور الكرام.. لولا تهديد الإسكندر.. فالسر يخنقه.. يريد أن يقوله لأحد.. لكنه لا يثق حتى فى زوجته.. وصارت مشكلة الطبيب أن يبوح بالسر.. فذهب إلى

البحر.. وجلس على الشاطىء.. وهمس للأمواج المتلاطمة وهو يرتعد الإسكندر ودنه مقطوعة.. وحمل الموج الصوت ليصل إلى الناس كلها.. ويشوف الدكتور المسكين أيامًا أسود من قـرن الخروب.

حينما قـرأت هذه الأسطورة صعب علىّ الدكتور.. لأننى وبصراحة شديـدة ما يتبلش فى بقى فولـه، لا أستطيع أن أمسك لسانى وتصورت لو أننى فى يوم من الأيام كنت أقـوم بـدور "رأفت الهجان" وأعيش فى إسرائيل كل هذه السنوات، وأنا أحمل بداخلى هذا السر الرهيب.. لاشك أننى فى ساعة صفا مع إستر بولونسكى أو مع أى واحدة ـ زى القمر من اللى عرفهم ـ أكيد كنت ح أقولها.. بينى وبينك بس ما يطلعش بره أنا شغال مع المخابرات المصرية، وباقبض من هناك ولى معاش بعد التقاعد إن شاء الله.. على أساس أطمنها على المستقبل.. يعنى منتهى العذاب أن تحتفظ بالسر ولا تبوح بـه لأحد.. وقـديمًا كانت وظيفة كاتم السر وظيفة مهمة فى البلاط الملكى.. وكان بياخد مرتب ع الحكاية دى.. وهى الوظيفة الوحيدة التى لم أتصور أن أنجح فيها باعتبارى فضيحة، يعنى هما يومين والملك اللى أنا باشتغل كاتم السر بتاعه يكون متجرس فى البلد كلها.. وفى اعتقادى أن كتمان السر يتعارض مع العواطف الجياشة.. فلا يوجد شاعر عـربى واحد صان حبيبته ولم الموضوع وخلاه مقتصر على التليفونات والمقابلات فى

السر.. وإنما كلهم فضحوا حبيباتهم وهروهم قصائد.. اللى بيحب ما بيمسكش نفسه.. ما بيقدرش يسكت عاوز يقول لكل واحد يقابله إنه بيحب زى عبد الحليم لما غنى "يا حبايبى يا أهلى يا جيرانى أنا عاوز أخدكم فى أحضانى"، حتى الجيران يريد أن يسيح لهم ويقول ع الموضوع.. أما أم كلثوم فتعلنها صراحة.. ولما أشوف حد يحبك يحلالى أجيب سيرتك وياه.. وبرغم هذا فالرجل أكثر احتفاظا بالسر من المرأة.. أسأل أى واحدة متزوجة.. إيه رأيك فى جوزك.. سترد بحسرة.. بلا نيلة.. فيه فضايح أكثر من كده بذمتكو.

واهتمت السينما المصرية بالأسرار فى الأربعينيات والخمسينيات.. وطلع لنا عبد الوارث عسر أو زكى رستم عشرات المرات على فراش الموت وأمام البطلة وهو يقول لها.. ده يا بنتى السر اللى كنت مخبيه عليكى من عشرين سنة.. ويطلع مخبى كنز أو سايب لها حساب كويس فى البنك، أو يطلع مش أبوها خالص.. أو على أقل تقدير تطلع أمها لسه عايشه وشغالة فى كباريه.. وفى كل حالات الوفاة التى مرت بى.. أبى.. عمى.. وآخرين.. لم يصرح لى أى منهم بأى سر قبل الموت.. كلهم ماتوا كده سكيتى ولا أسرار ولا دياولو..

قال صديقى كمال ذات مرة.. ح أقولك على سر بس أوعدنى أنه ما يطلعش بره.. قلت له فى جديه كأنك ماقلتش حاجة.. قال لى: أنا

مزنوق جدًا اليومين دول ومحتاج ميه وخمسين جنيه، فقلت له فى جديه.. كأنك ماقلتليش حاجة.

وكان هذا هو السر الوحيد الذى حفظته ولم أبح به لأحد.. اللهم إلا أنتم يا أعزائى، ولكن أرجوكم أن يظل سرًا بيننا حتى لا ينفضح صديقى كمال، خصوصًا بعد أن وعدته بالكتمان.. اتفضلوا.. أهوه.. أدينى فضحته.

وهناك نوعية من الناس منتشرة جدًا فى الوسط الفنى يدعى الواحد منهم أنه العارف ببواطن الأمور.. وأن الأسرار كلها عنده.. قال أحدهم عنى: يوسف سره كله معايا.. ما يخبيش عنى أيها حاجة.. وادعى ذات يوم أننى متزوج فى السر وعندى واد فى "كى جى تو" وساقط فى العربى.. بس الكلام ده بينى وبينكوا.. ما يطلعش بره يعنى.. هكذا قال الأخ.. وسرت الشائعة.

فهذا يقوللى صحيح اللى سمعناه ده.. وآخر يقول لى.. يا سيدى مبروك ولو أنها متأخره.. وثالث يقول لى خليها تقعد مع الواد تذاكر له. وأنا أضرب كفًا على كف، ولم أجد حلاً فى النهاية لهذه المشكلة سوى أننى أحضرت للواد مدرس لغة عربية خصوصى حتى لا يضيع مستقبله.. أعمل إيه بس!!

حكايات الشوارعى

١ـ حين أقف فى ميدان رمسيس ينتابنى شعور أجدادى حينما جاءوا من الصعيد، ووضع كل منهم يده على الصرة التى بها الفلوس، قابضا عليها كقبض الروح، ينتابنى شعور بالغربة وبأن كل من حولى نصابون، وبأننى حالاً سأدفع مقدم الترماى لأحدهم.. ميدان رمسيس يمثل بالنسبة لى البداية.. والسذاجة.. والبراءة.. كل العمائر التى فى الميدان، والمحطة كانت أشباحًا مخيفة لهريدى وصميدة وداد ـ جاد يعنى ـ نظروا إليها فى رعب، لم يشعر به كولومبس شخصيًا حينما اكتشف قارة جديدة. لسبب بسيط لأن ميدان رمسيس من وجهة نظرى زمان كان أكبر قارة فى مصر كلها. ذلك قبل أن يعلن لنا المطرب الشعبى الشهير.. أن أحمد حلمى اتجوز عايدة..

٢ ـ حينما أقف فى ميدان الأوبرا تحت تمثال إبراهيم باشا. أتذكر سور الأزبكية والكتب الرخيصة القيمة، وأشعر بأننى أعيش عصرًا مملوكيًا عثمانيًا كانت فيه الأزبكية هى منطقة الناس الذوات، لاتزال

توجد آثار لبار قديم كان يتردد عليه شعراء وكتاب ومثقفون، زعقوا هنا، صرخوا واختلفوا، وكما شربوا لكى ينسوا. نسيهم المكان، وصاروا لا شىء..

٣ ـ وحينما أقف فى ميدان الإسعاف، أشعر بأن الصورة تجرى بسرعة مذهلة، فهذا المكان تأتيه مسرعًا وتخرج منه مسرعًا، إنه ميدان ع الطاير، لا يعقد معك صداقة ولا يؤثر فيك ولذا أنا أكره ميدان الإسعاف وأعتقد أنه يبادلنى الشعور نفسه.

٤ ـ ميدان التحرير بقى.. يذكرنى بالأحداث الجسام، الأشياء الضخمة، أشعر أنه مسرح رومانى كبير، ولا أحس بزيادة تعداد مصر إلاَّ فيه. وفيه أيضًا أشعر بالزلزال، وبموت عبد الناصر كما أنه يحتوى على ركن صغير مخصص للحزن.. اسمه عمر مكرم وركن آخر للعذاب وهو المجمع طبعًا..

٥ ـ ميدان روكسى مرتبط عندى بالبنات الحلوة اللى بتتمشى بجوار المحلات، وكلمة روكسى لا أعلم لماذا أحس أن فيها سكس أبيل.. مثل قبلة مكتوبة ومنطوقة، ولذا حينما توقف البنت الجميلة تاكسيًا وهى تغنى.. روكسى.. أحسد السواق.

نروح فين كمان. نروح فين كمان.. آه.. شارع عباس العقاد.. يمثل بالنسبة لى كم متناقضات لا حصر لها، انفصل الشارع شكلاً

وموضوعًا عن اسمه، فصار مثل امرأة قبيحة اسمها حسناء. فلم أعد أتصور أن العقاد الذى أعرفه أنا له صلة بهذا الشارع، يشعرنى شارع عباس العقاد أن كل الآباء الذين فيه يعملون فى الخليج، والأمهات والأولاد يسكنون هذه الشقق الكثيرة، بلا أب، ويبعث لهم الأب كل شهر بعدة آلاف من الريالات أو الدراهم أو الدنانير، تتحول فى مكاتب الصرافة إلى مصرى.. الذى يتحول بدوره إلى عربيات لم يتعب فيها سائقوها.. وتقف شلل الشباب أمام محلات الأطعمة الأجنبية "التيك آواى" يصرفون الفلوس التى تأتى من الخليج.. تلك هى دراما الشارع..

٦ ـ شارع الهـرم.. يمثل بالنسبة لى عاهـرة تحـاول أن تتوب، وتحاول أن تأخذ مظهرًا جديرًا بالاحـترام، وأرى الخيـول فيـه تجر عربات الإمبراطورة أوجينى، على الطريق المعبد بالأمـر لترى الأهرامات المصريـة، وأرى فى الشارع مساحيق كثيرة تلطخ وجوه النسوة اللاتى لا ترين شمس شارع الـهرم، ولا تعرفن سوى قمره. وتجتمعن فى نهاية السهرة. عنـد واحدة يقولون لها طنط.

٧ ـ شارع فيصل.. بلدى.. عاوز يعمل متفرنج، محلات كلها زينة وإضاءة، ولكن مهما يعملوا بلدى.. تستطيع فقط أن تشترى ٣ كيلو كنتالوب وانت راجع بالليل وفى يدك قرطاس طعمية سخنة وست أرغفة من الفرن، وفى انتظارك أمرأة بالتأكيد ستنكد عليك.

٨ ـ شارع جامعة الدول العربية.. أحس فيه أننى أتمشى فى أبو ظبى.. وأشعر بخطورة شديدة فى إقامتى بالشارع هكذا، دون أن يكون عندى كفيل، وفى المساء حينما ينهال البومب والحناطير والأغانى الخليجية ينتابنى شعور حقيقى بأن آخذ أجازة من الشارع وأنزل مصر أشوف أهلى.

٩ ـ فى ميدان لاظوغلى.. أحس أننى ع المعاش وأننى أريد أن ألعب عشرتين طاولة مع الحاج عرفة، حتى صلاة الظهر لأعود إلى بيتى والجريدة تحت إبطى.

١٠ ـ فى شارع قصر العينى.. أحس أن كل موظفى مصر مزوغين أو مستأذنين قبل العمل بثلاث ساعات، السيدات للرضاعة والرجال لكى يحضروا أطفالهم من الحضانة.

١١ ـ على كورنيش النيل. تسبيل ونظرات وبصات من اللى قلبك يحبها، وترمس وبطاطا وذرة مشوى ولب وسودانى.. حب وقزقزة.. وبائع متجول رزيل تدفع له ثمن اختلائك بالجو.. وليس ثمن بضاعته..

١٢ ـ ميدان الجيزة.. أحس فيه أن كل الطلبة راجعين بلادهم.. اللى رايح أسيوط واللى رايح الزقازيق واللى رايح مغاغة، وفور أن يصل إلى الميدان يعود لأصله بسرعة ويتكلم لكنة بلاده، فالكلام المصراوى

الذى يتعامل به فى القاهرة لـن ينفع عندنا، ولذا لنبـدأ فى ضبط الموجـه من هنا. مـن ميدان الجيزة.

١٣ ـ شارع ٢٦ يوليو.. يذكرنى بالخطايا.. ابن يحصل على كل الحب والرعاية والاهتمام وآخر لقيط ليس له ذنب.. هنا طبعًا أقصد ذلك الجزء الذى فى الزمالك.. والآخر الذى فى بولاق أبو العلا.. وإن كان الثانى اللقيط هذا دمه أخف على قلبى.

١٤ ـ شارع شبرا.. بنت حلوة تجمع بين الكلاس والبلدى.. جريئة بلا قلة أدب، وشباب مقطع السمكة وديلها وعيال مخلَّصه.. لا تعاكس بنت شبراوية. لأنها ستصبر عليك طالما أنت فى اللذاذة. ح تطول لسانك. باللى فى رجلها على طول.. وفى شارع شبرا كنائس عريقة ومعقل المسيحيين المصريين، أراهم أيام الآحاد بالزعف فيهم عذوبـة وطيبة وسلام ومحبة، وشارع شبرا سهران بمقاهيه وحواديته. شبرا بلد فور أن تنزل من تحت النفق تنسى كل ما وراء النفق لتتفرغ للتفكير فى اختيارين ح تخش شارع الترعة ولا شارع شبرا!! وأنا لم يكن عندى سوى اختيار واحد. أن أذهب إلى بيت حبيبتى الوحيدة فى الدوران..

١٥ ـ روض الفرج.. تطفو على سطح شاشة ذهنى. مسارح قديمة وعوالم وفنانين يرتجلون ويخرجون عن النص، مسارح روض الفرج

التى خرج منها فنانون حكاية، وروض الفرج السوق والخضار والفاكهة وفيلم الفتوة. والصراعات الرهيبة والخناقات الأسطورية وروض الفرج، الحديقة الهادئة وقصر ثقافة ومركز إشعاع حضارى، روض الفرج مثل رجل لا يستقر فى وظيفة، ويغير نشاطه عمال على بطال.

كان صديقى يلهث وأنا ألف به شوارع مصر، وفجأة، قال لى: أرجوك تعبت.. قدماى تورمتا. أبوس إيدك.. نقعد شويه.. على مقهى جلسنا، وخلع هو الحذاء، ليهوى رجليه، طلب كوب شاى واسبرينة.. نظرت إلى المقهى العتيق وقلت له: هذا المقهى بأه.. لكنه قاطعنى بسرعة قائلا: ارحمنى..

بلاد كوش

أنا دمى حامى.. وأكلى كله حراق.. وحينما كانوا يعاقبوننى وأنا طفل بوضع الشطة فى بقى.. كنت أستمتع بها.. وأكره الفلفل البارد كما أكره الناس الباردة التى لا تتنحرر.. وإذا حدث واشتكت لى إحداهن من غيرة زوجها الجنونية.. كنت أقف بجوار الزوج.. وإذا شكت لى زوجة ـ برودة زوجها، كنت أقف بجوار الزوجة.. فإذا لم يتنحرر برضه كنت لا أكتفى بوقوفى إلى جوارها.. وإنما أحط يدى على كتفها يمكن يتحرك، يتنحرر. الحياة ليس لها طعم بلا شطشطة وكثيرًا ما رأيت امرأة جميلة، وشعرت أنها ينقصها أن تدخل إلى الفرن قليلاً حتى يحمر وشها.. على الأقل.. ورأيت رجالاً يحتاجون إلى شمة نار.. أو تشويح على الفحم.

والحقيقة أننى أتعجب طوال حياتى.. لهذه الظاهرة غير الحضارية المسماة بالعنصرية.. وكيف استطاع الإنسان (الأبيض المزعوم الذى هو

أسود كحلى من الداخل)، أن يروج لفكرة أنه أفضل من الأسود.. من قال هذا؟ إننى طوال عمرى أنظر إلى الأسود على أنه يزيد عنى بشكل ما.. متميز.. مستوى شوية.. وأنا بالطبع لا أدعى البياض.. أنا خارج من ميكروويف راخر.. وعنترة بن شداد الذى ظل يكافح طوال حياته ليغير نظرة الناس إلى سواده.. كان ريح نفسه ونزل لندن.. ح يبقوا عليه بالزوفة. مش ح يلاحق على المعجبات به.. وفى التاريخ الحديث.. كانت مصر والسودان دولة واحدة، وفى التاريخ القديم أيضًا، بل إن فحوص العلماء أثبتت أن الجماجم البشرية لكل من المصرى والسودانى تنسب إلى سلالة واحدة هى السلالة الحامية.. والعلاقة بيننا وبين النوبة بدأت زمان فى الأسرة السادسة، حينما ذهب "حرخوف" الكاشف العظيم لمجاهل أفريقيا وأرسل قزما أفريقيا يومها إلى الملك بيبى حتى يسرى عن جلالته، يلعب بيه يعنى، وبدأ الهبش الكبير بقى أبنوس وعاج وذهب بالقناطير وعبى.. واشحن على مصر.. وسميت بلاد النوبة أيام الفراعنة بلاد كوش.. على أساس أنه بعد ما ياخد الذهب يقول لهم.. معرفكوش..

والصورة التى قدمتها لنا السينما للنوبى الأسمر صورة ظالمة، وفى منتهى الإجحاف إما بوابون، أو سفرجية، بينما فى الواقع كان الجنود النوبيون من أهم الركائز الأساسية التى يرتكز عليها الجيش المصرى الفاتح العظيم، ولا يزال الهجانة الذين يحرسون الحدود على الجمال

مظهرًا جميلاً من مظاهر العسكرية النوبية، ولكن يبدو أن المسئول عن هذه الصورة الكاريكاتورية الثابتة فى العقل والوجدان، هو هـذا الكوميديان الفريد على الكسار، الذى أطلق على نفسه بربرى مصر الوحيد، وقـدم لنا شخصية عثمان عبد الباسط النوبى الساذج الذى يرى الأمرين من زوجته وحماته، ومن طوب الأرض أيضًا.. ولكن صفحة التاريخ الملونة عامرة بشخصيات بـرغم سوادهـا إلا أنها بيضاء ناصعة.. فمن ينسى كافور الإخشيدى الأستاذ الـذى كان معلمًا للمول.. وأطلق على نفسه أبو المسك.. وحكم مصر بقوة وعظمة واقتدار.. ولم يسلم مع ذلك من لسان المتنبى الذى أرسل له قصيدة فى العيد يعيِّد عليه بها..

عيد بأية حال عدت يا عيدُ

بما مضى أم لأمرٍ فيك تجديدُ

لا تشترى العبد إلاَّ والعصا معه

إن العبيد لأنجاسٌ مناكيدُ..

وفى تاريخنا المعاصر.. كان السادات رمزًا من رموز الأناقة والشياكة فى العالم كله.. وكان جذابًا ساحرًا.. وله حضور غريب وكان سماره لامعًا أبنوسيًا، واستطاع أن يلعب بدول وزعماء وشعوب..

أما فى الفن بأه.. فلا توجد ظاهرة عالميـة فى الغناء كـان لها أثر مثل

ظاهرة الأخ مايكل جاكسون، الذى بدأ حياته أسود ثم مر بمرحلة سمراء خمرية، ثم عمل وش نضافة لوجهه.. وصار الآن أبيض شق اللفت، وأتصـور أنه سيأتى يـوم سيجعل جاكسون وجهه لونين نصف أبيض ونصف أسود.. نصف بارد، نىّ. ونصف حامى نار، وفى اللحظة نفسها التى سيشتعل النصف الأسود غـيرة عـلى زوجته، حينما يضبطها مع صديقها، وقبـل أن يقتلها سيسامحها عـلى الفـور النصف الثانـى الأبيض ليبـدأ معها حيـاة جديـدة.

أنـا.. و.. مونرو.. وميللر

لاشك فى أن الثقافة تفسد الحب، ربما لأن الحب نفسه حالة من الهطل، وكل الأدباء الذين أحبوا ذاقوا الويل فى حبهم.. وأيضًا أذاقوا من أحبوهن المرار.. لورد بيرون الشاعر الإنجليزى أحب فتاة من تاهيتى.. برية.. جاهلة.. كانت تشتمه ولم تقرأ كلمة واحدة من أشعاره.. وبرنارد شو أعجوبة عصره.. أرسلت له امرأة جميلة خطابًا تريد الزواج منه.. تقول فيه: "تزوجنى".. تخيل روعة الطفل الذى سننجبه.. حينما يرث عقلك ويرث جمالى.. تحفة.. ورد عليها برنارد شو قائلاً: المصيبة يا سيدتى لو ورث عقلك أنت وجمالى أنا.. كارثة!!

وآرثر ميللر أيضًا وحكايته مع قطة هوليوود مارلين مونرو.. عادت يومًا إلى البيت فإذا على سريرها الحريرى الناعم صورة فوتوغرافية لها، وساقاها عاريتان فى الصورة يعنى.. ودخل ميللر ووقف أمامها وبلهجة رخمة للغاية قال: هل تعتقدين أن المهنة التى

تحترفينها هى فـن حقيقة!! إنك عندمـا تموتـين لـن يبقى منـك سوى بضع صور تمثل الجاذبية الجنسية.. يا ساتر على سد النفس والنكد اللى عند المثقفين يا ميللر.

وكانت تلك العبارة أكبر إهانة تعرضت لها القطة فى حياتها.. ولكنها.. ولكنها فى لحظة طيش قالت له هى الأخرى من أنت!! ماذا تظن نفسك.. أنت لست سوى كاتب مرتزقة يدفع له الناشر أجره بالسطر، هل تظن أنك تولستوى؟ يا لك من مغرور واهم.. كان ميللر يحاول أن يشد مارلين إلى عالمه هو.. فكان يصحبها إلى المتاحف الأثرية والجيولوجية.. ويجبرها على قضاء الساعات الطوال فى المكتبة الأهلية، ويختار لها الكتب لتطالعها ويجعلها تحضر الندوات الأدبية.. وربما انتحرت لهذه الأسباب.. أو لأنها فشلت فى أن تجره هى إلى عالمها.. عالم الأنوثة والحب والدفء.. أقولكو إيه فقرى.. أخذته مارلين مونرو إلى بقعة نائية.. فى محاولة منها لاجتذابه إلى عالمها.. ووقفت فى الشاليه وقالت.. شوف يا آرثر.. قطعة أرض صحراء جرداء.. عمرها ٧ آلاف سنة النهاردة بقيت جنة.. ومع ذلك مارضيش يحجز فى دريم لاند..

مرسيه لسه شارب

نظرت لى بامتعاض وهـى تتأمل وجهى وسألتنى.. مـا هـذا الهباب الذى تحت أنفك..

ومسحت أنفى بيدى فلم أجد أثرا للهباب.. قلت لها.. أين الهباب؟ قالت هذا الخط الذى لا يحمل أى معنى.. قلت لها.. من فضلك.. هذا شارب.. ثم أدرت وجهى ونظرت إليها باندهاش وقلت لها: وما هذا الهباب الذى فوق عينيك؟ أجابت بثقة هذا حاجب، قلت لها: عفوا يا سيدتى لماذا سمح للنساء دونا عن الرجال على مدى العصور أن يرفِّعن حواجبهن أو يتركنها تخينة أو يصلن ما بين الحاجبين؟ وفى الوقت نفسه حرم الرجل نهائيا من اللعب فى حواجبه أو الاقتراب منها بملقاط مدى الحياة؟ ولذلك حينما يلاعب رجل حواجبه لامرأة هكذا ـ حاليا أنا بألاعب حواجبى بس انتو مش شايفين ـ يعتبرون هذا نوعًا من المغازلة.. والبصبصة.. وكأنه يقول

لها.. أنا حواجبى جديدة ما اتلمستش.. إنْتِ حواجبك اتهرت بالملقاط..

ولذا اخترع الرجل فكرة الشنب يساويه..يرفعه.. يتخنه.. يبرمه.. زى ما يحب، وارتبط الشارب بالطقطقان ارتباطًا وثيقًا.. فرجل مثل شارلى شابلن بشاربه الذى يشبه ورقة البوستة، استطاع أن يلعب بمشاعر الناس ويضحكهم وأن يؤثر فيهم تأثيرًا لا مثيل له.. "ابن مجنونة"!!

وعلى النقيض، هتلر بنفس الشارب تقريبًا على النقيض تمامًا.. لاضحك ولا بسمة، حتى أنه صورة للرعب والديكتاتورية والبرانويا.. أما أجمل الطاقين ذوى الشوارب فهو الرسام المعجزة سلفادور دالى، فهو يتميز بشارب فريد على شكل حرف "يو" مبروم إلى أعلى، ليس مثل شوارب الباشوات وإنما إلى أعلى قوى.. يقطع الخد ويصل إلى العينين.. وشارب سلفادور دالى كان أحد عناصر شهرته كرجل طاقق، فإن كان قد جرؤ على أن يعمل فى وشه هذه العملة.. ما بالك بلوحاته.. جنان رسمى.

والشارب فى مجتمعنا الشرقى رمز للرجولة، فيحلف الرجل بشاربه.. فى لحظة طيش أمسك بشاربه وقال لى أحلق شنبى ده لو رجعتها تانى.. كان يقصد زوجته طبعًا بعد خلاف حاد بينهما.. وحينما

ذهبت إليها لأصلح بينهما.. أمسكت بشعرها وقالت لى.. وحياة ده ما ارجعله تانى.. ووجدتنى فى مشكلة لا يحسمها سوى الكوافير أو الحلاق، فالشعر تاج المرأة.. والشارب هو صولجان الرجل.. وأخرجت نفسى من الموضوع كلية.. الحكاية أصبحت كلها شعر.. وعاد إليها.. وعادت إليه.. ولم يلحق شاربه ولم تمس شعرها.. وإذا تذكرنا معًا ذلك المشهد الخرافى الشهير فى فيلم الأرض لمحمود المليجى وهم يحلقون له شاربه.. ورأينا كيف كانوا يجرفون الشارب كأنهم يجرفون الأرض.. ودمعة متحجرة فى عين المليجى وهم يستأصلون رجولته.. هذا المشهد حينما عرض على العالم كان يحتاج إلى مذكرة تفسيرية.. فما معنى أن يحلقوا شنب المليجى بالنسبة لهم عادى.. عندنا بقى كارثة.

وفى مصر القديمة.. أيام الفراعنة لم يكن الشارب مستحبًا بالنسبة لهم. التماثيل كلها ذقون مستعارة ولكن بلا شوارب.. تمثال واحد لأمير اسمه رع حوتب هو الذى اكتشف وقد ربى شاربه.

ولا يعرف علماء التاريخ والآثار ما الذى دعاه هو وحده دونًا عن غيره أن يربى شاربه هذا، فى رأيى الشخصى أنه فعلها حتى تتعرف عليه زوجته.. وما يبقاش لها حجة.. فكما تعلمون كانت تماثيل الفراعنة متشابهة.. إيه اللى يوقفها بقى مع تحتمس الثالث.. الاستعباط ده مش حلو.

والشيء الذى يغيظنى حقًا.. تدُّخل المرأة فى خصوصية من أشد خصوصيات الرجل.. ما لها هيه.. تقول لى بمنتهى الجرأة.. شنبك ده لازم تحلقه.. مضايقنى يا أخى.. وقلت لها ثائرًا.. مضايقك فى إيه. أنا حر.. ولكننى حينما فكرت مع نفسى قليلاً.. عرفت مضايقها فى إيه اللى مضايقها فى شنبى أنه مش بيضايقها.

بلا أدنى شك

طلب السلطان عبد الحميد (السرخفية) رئيس جهاز مخابراته وأقوى رجل فى دولته للقاء خاص وخطير.. دخل السرخفية ـ وهو بالمناسبة لا علاقة له بزكية زكريا ـ إلى مكتب السلطان فى قصره المنيف وقبل الأرض بين قدميه.. ثم قبل يديه، ووقف فى انتظار أن يتكلم السلطان.. ابتسم السلطان ابتسامة محسوبة بالمللى.. وضع يده على كتف السرخفية فاقشعر بدنه.. وقال اسمع يا سرخفية باشا أنا لا أثق فى مخلوق ممن حولى إلا أنت، أنا لا تخدعنى النظرات المليئة بالـزيف، وكـل محاولات إرضائى أنـا أفهمها جيدًا، قال السرخفية: إن عقل جلالتكم يوزن تركيـا كلها.. أشِّرلى يا مولاى بما يجول بخاطرك وأنا أطلعك على كل التفاصيل.. قال السلطان عبد الحميد ليس فى رأسى أحد بعينه.. ولكننى أشك.. فقط أشك.. قـال السرخفية ونحن نأخـذ بالشك يا مولاى ولا ننتظر حتى نصل إلى اليقين.. قال السلطان عبد الحميد.. عنـدى مقابلـة الآن مع رئيس وزرائى.. فور

ما إن تنتهى المقابلة.. أريـد مراقبة تامـة وتقارير وافيـة عنـه.. يا عزيزى.. ليس لى فى هذا البلد إلا أنت.. انصرافات أفندم، وخرج السرخفية ليجهز نفسه ويحرك أجهزته..

دخل رئيس الوزراء على السلطان وقبّل الأرض بين قدميه، كان السلطان جالسًا على كرسيه المذهب.. وأشار له بأن يقترب فجلس أمامـه ونظر له السلطان نظرة ثاقبة.. وسأله كيف حال البلد يا باشا.. أجاب رئيس الوزراء: الشعب كله يسبح بحمدك يا مولاى. قال السلطان عبد الحميد: ولكن هل يحبنى الناس؟ فأجفل رئيس الوزراء من السؤال.. ولم يعطه السلطان فرصة لأن يجيب وناوله السؤال الثانى.

أنت يا باشا.. هل تحب السلطان؟ فكان السؤال الثانى بمثابة الضربة القاضية، فبكى رئيس الوزراء وقال من بين دموعه: هل يشك مولاى فى مشاعر خادمه وعبده؟ ابتسم عبد الحميد.. وهمس له وهو يتلفت حوله.. أنا أسألك لأننى أحبك يا باشا، فانفجر رئيس الوزراء فى البكاء وقال: إن هذه النعمة التى حبانى بها مولاى لا أقدر على أن أتحملها، قال عبد الحميد.. بل وتستحقها ولا أحد غيرك يستحقها.. ولكن.. قال رئيس الوزراء ولكن ماذا يا مولاى؟ قال السلطان كثيرون حولى لا يحبوننى يا باشا.. قال رئيس الوزراء.. أعطنى أسماءهم وأنا أرسل لجلالتكم برؤوسهم جميعًا.. قال عبد الحميد أنا

أشك فى "السرخفية" يا باشا أنا لا أستطيع أن أتهمه بشىء ولكنى فقط.. أشعر بـ.. أحس بأنه.. لا أحب أن أظلمه.. قال رئيس الوزراء.. دعه لى يا مولاى سأرسل لك تقريرًا يوميًا عن كل خلجة من خلجات نفسه.. ابتسم عبد الحميد فى راحة وقال لا يريحنى فى هذه السلطنة غيرك يا باشا.. انصرافات أفندم.. وخرج رئيس الوزراء كالعادة وهو يقبّل الأرض بين قدميه.

استراح السلطان وشعر بانتعاش.. فأمر بفرسه وخرج يتمشى فى حدائق قصره سعيدًا.. إلى أن وصل إلى الحديقة الصغرى، وسأل عن الكاغدخانة أو المهرج، وجاء مضحك السلطان واسمه على أفندى، وهو كهل منظره يفطس من الضحك قصير القامة كبير الرأس عظيم الأنف.. وجاء وهو يستعيذ بالله من تلك الدعوة، لأن السلطان كان يبالغ فى تعذيبه التماسًا للضحك، وحالـمًا أقبل على السلطان أشار السلطان إلى من حوله بأن يطلوا وجهه بالسواد والمهرج يضحك ويقفز كالمجانين.. وبعد أن ضحك السلطان.. أمسك به وألقاه فى البحيرة.. ثم أمر بإخراجه من الـماء.. فأخرجوه والماء الأسود يقطر من ملابسه وجسده، وسأله السلطان ضاحكًا ما كل هذه الأنف يا كاغدخانه؟ قال المهرج.. إنهما أنفان يا مولاى فقال السلطان سعيدًا.. وهل هذا عدل.. لكل امرؤ أنف واحدة، إذن نقطع واحدة ونترك لك واحدة، فصرخ المهرج والسيف يقترب من أنفه.. والسلطان يضحك والمهرج يتوسل.. أمان أفندم أمان.. فأشار السلطان بالعفو عن أنفه

وصرف الموجودين، وانفرد بالمهرج وأمره بأن يقعد بين رجليه.. فقعد.. قال السلطان اسمع يا مهرج.. دع عنك هذا المجون وخاطبنى لقد أعطيتك مطلق الحريـة كمهرج أن تتجول فى قصر السلطنة كما تشاء، لا لشىء إلا لأننى لا أثق سوى بك أنت.. لا أحد يتصور أنك الرجل الثانى فى السلطنة الذى يخبرنى بكل شىء، فماذا فعلت فى موضوع السرخفية ورئيس الوزراء؟!! وبدأ على أفندى يهمس للسلطان بما عنده إلى أن أقترب منهما فجأة.. نادر أغا باشا.. الطواشى والمسئول عن الحريم، فغير المهرج من لجهته فجأة وبـدأ يغنى ويرقص فى خلاعة.. وفهم السلطان بالطبع أن شخصًا يقترب، فانهال على قفاه ضاحكًا وقـال يا لك من كاغدخانه مأفون!! ثم التفت إلى الأغا، ماذا بك يا نادر أغا؟ قال الأغا إن الوالدة باشا تريد مقابلة سموكم، قال عبد الحميد فى سعادة.. عظيم.. عظيم.. تعالى يا نادر أغا.. وفى الطريق إلى قصر الوالدة باشا.. همس السلطان عبد الحميد فى أذن الأغـا قائـلاً: لقد بدأ الشك يتسرب إلى نفسى من هذا المهرج ضعه تحت عينيك يا نادر أغا.. أريد تقريرًا وافيًا.. وقبل أن يدخل إلى قصر الوالدة باشا غير طريقه فجأة وعاد من حيث أتى يبدو أنه كان لا يثق بالوالدة باشا كثيرًا.

سعيكم مشكووووور

أعتقد أننا نحن المصريين الذين اخترعنا الجنازات، وعلى جدران معابدنا الفرعونية نقوش ورسومات ثابتة.. تصور جنازة الميت.. والندابات اللاتى يلطمن الخدود وينثرن التراب فوق الشعور.. وتوجد كتابات هيروغليفية لو ترجمت ترجمة حرفية.. لكانت سايبنى لمين يا جملى.. يا سبعى وحاجات زى كده.. وبجوار كل هرم يوجد ما يسمى بالمعبد الجنائزى، فى أعلى طريق صاعد تسير فيه الجنازة من أسفل إلى أعلى وهم يحملون الكفن.. وإيمان المصريين بالبعث والعالم الآخر جعلهم يقضون حياتهم كلها فى "بروفات جنرال" ليوم الوفاة.. الجنازات التى حضرتها فى حياتى.. هى فى رأيى.. باستثناء أهل الميت وحبايبه روايات مفتعلة من التمثيل الردىء.. فهذا يخبط على قدميه فى أسى ويتنهد.. إيه اتخطف والله اتخطف من وسطنا يا فتحى بيه.. يهز فتحى بيه رأسه موافقًا.. عند الله.. عند الله أحسن منى ومنك.. اللى عمره ما عاب فى حد ولا زعل حد.. هو كان فيه حد زى متولى؟!

يلتفت فتحى بيه فى استغراب ويهمس متولى مين؟ هو الميت اسمه متولى؟! أنا جاى لرمضان فتح الله هو مش ده العزا بتاعه؟!

يرد الثانى.. رمضان فتح الله إزاى؟! ده عزا متولى..

يمر الولد الذى يحمل صينية القهوة السادة.. يناديان عليه.. يقتربان منه بوجهيهما ويهمسان هو ده عزا مين؟! يرد الولد.. عزا الأستاذ بسيونى فرحات.. فيه حاجة؟! يردان معًا.. لا.. مفيش.. الله يرحمه ويدخله فسيح جناته.

يقلق الرجل.. ويهمس لفتحى بيه.. إيه مش نقوم بأه.. يرد فتحى بيه متهيأ لى ما يصحش نقوم دلوقت.. لما الربع يخلص ع الأقل.. يرد الثانى.. أصول برضه.. إنما.. هو سعادتك لسه ماسك فى الجمارك.. يرد فتحى بيه فى اقتضاب أيوه.

يا سلاااام ده أنا ليا عندكو استريو بقاله تسع تشهر مش عاوزين يخرجوه.. مشددين قوى يا فتحى بيه.. وحينما يختتم المقرئ الربع يخرج فتحى بيه ووراءه الرجل صاحب الاستريو.. فى عزاء رمضان فتح الله.. يجلس فتحى بيه وقد رسم على وجهه ملامح الأسى التى كانت مرسومة فى عزاء بسيونى فرحات، وللمصادفة التى هى متعمدة تمامًا.. تأتى جلسته بجوار صاحب الاستريو.. الذى يهمس فى أذنه.. تعيش وتفتكر يا فتحى بيه.. ينزعج فتحى بيه لرؤية الرجل مرة ثانية..

وهنا يتكلم الرجل بلا مقدمات فقد صارت علاقته بفتحى بيه تسمح له برفع الكلفة بعد لقائهما الخطأ فى عزاء بسيونى فرحات.. قال.. هو له أربع سماعات وأمبليفاير والكاسيت دوبل، ردد فتحى بيه بأسى.. الله يرحمه.. بجوارهما كان يجلس المدرب الشهير والأنظار كلها متجهة نحوه.. يهمس المجاور له.. خط النص كان ضايع امبارح يا كابتن.. وحينما يدخل النجم الشهير يتبرع بعضهم بأن يقوده فى احترام.. وفى بعض الأسى المفتعل إلى حيث يجلس.. مستعرضًا أمام المعزين مدى علاقته بالنجم الذى هو محط الأنظار، ويبتسم أحد المعزين فى خبث ويهمس لزميله.. أمال بيطلع طويل فى السيما إزاى؟!

هكذا هى الجنازات كأنك تحول مؤشر الراديو ولا تتوقف عند محطة معينة.. مصالح.. تهامس.. تخابث.. نميمة.. وآخر حاجة تجدها.. هى الحزن.. ولكننا ونحن نودع القرن العشرين لا نستطيع أن ننكر أن هناك جنازات يمكن أن نصفها بالإنتاج الضخم والإقبال الجماهيرى منقطع النظير، جنازة غاندى.. الزعيم الفريد.. وهى جنازة شارك فيها الفقراء قبل الأغنياء والأعداء قبل الأصدقاء.. جنازة واحد اعتمد فى حياته كلها على معزة.. وشوية ناس غلابة. وجنازة عبد الناصر.. وهذا الانفجار البشرى المهول.. وأنا ابن السبع سنوات يوم وفاته علام بكيت؟! لا أعرف إلى الآن! وأبى بكى وأمى.. وأخواتى والجيران.. وحتى هؤلاء الذين كانوا معتقلين بكوا هم

أيضًا.. ونام الناس أيامها فى الشوارع وعلى الأرض فلم تكن البيوت تتسع وقتها لكم الحزن الكبير الذى انفجر داخل القلوب.

وجنازة أخرى أكثر شاعرية ورومانسية.. جنازة ديانا ودودى حبيبها جنازة ملكية فخمة.. وأطنان من باقات الورد تملأ الطريق أمام السيارة السوداء الملكية، ونسى الناس أنها "اتشاقت" كثيرًا ولعبت بديلها.. وأن علاقتها بدودى تعدت مرحلة الخطوبة.. نسى الناس كل هذا أمام قسوة وروعة النهاية المثيرة ومشى الجميع ينعون قصة الحب.

وأخيرًا تلك الجنازة المدهشة للملك الراحل حسين.. الذى ظل يحكم بلدًا صغيرًا.. لا يتعدى تعداد سكانه أكثر من ٥ ملايين نسمة.. وكان فى جنازته ضعف هذا العدد.. طوابير المعزين لا نهاية لها.. ما أروع ذلك المشهد البديع لحصانه الأبيض العربى الأصيل الذى ضرب بالبروتوكول عرض الحائط، وأصر على أن يركض خلف نعشه ركضًا واشرأب بعنقه متجهًا نحو مليكه وهو يصهل فى أسى.

الجنازة يا أعزائى.. هى عالم آخر متغير ولحظة لالتقاط الأنفاس.. وتعبئه الحياة الطويلة فى كبسولة من خلال فلاش باك لصاحب الليلة.. الذى حصل من الآن على لقب (المرحوم)، وأضيف إلى كل شىء يخصه أو عنه فعل كان، وحرم إلى الأبد من أصبح وأمسى ومازال وما أنفك.. ولابد أن أذكر هنا ذلك المليونير الإيطالى الذى

أراد أن يشهد بعينيه جنازته قبل أن يموت، فنشر خبر وفاته فى كل الصحف وطلعت الجنازة.. والكل يمشون فيها.. يحكون طبعًا.. إنها مجرد لعبة.. ولكنهم رأوا رجلاً ينتف لحيته ويبكى ويشد شعره.. وأشفق الناس على حزن الرجل وأخذوا يحاولون تهدئته.. ولكن.. بلا جدوى.. كان الرجل هو نفسه الميت صاحب الليلة.

يا بانى فى غير ملكك

ترى ماذا سيكون شعورك إذا عزمتك فى بيتى؟ ودخلت البيت فوجدته نسخة طبق الأصل من بيتك أنت؟ لون الحيطان نفسه الستائر نفسها وكذلك الأنتريه.. الحمام هوه.. بالتأكيد ستندهش.. تمامًا مثلما اندهشت ملكة سبأ.. حينما وجدت عرشها أمامها وهى فى زيارة قصيرة لسليمان الحكيم، وتمامًا مثلما اندهشت قطر الندى (أسماء بنت خمارويه)، وهى العروس الذاهبة إلى الخليفة المعتضد، حينما وقف الركب فى منتصف الطريق للراحة.. (بعد الكارته) نزلوا باستراحة أعدها لها أبوها خمارويه، ودخلت قطر الندى فوجدت الاستراحة نسخة طبق الأصل من القصر الذى عاشت فيه طوال عمرها.

قالوا.. إنه فعل ذلك.. حتى لا تشعر قطر الندى بغربة.. والواقع أننا حينما نتغرب توحشنا بيوتنا.. توحشنا الكراسى والترابيزات.. ومهما نزلنا فى فنادق وسويتات، يظل بيتنا له حنين خاص.. وفى قمة

أوكيناوا الأخيرة.. التى اجتمع فيها الثمانية الكبار أنفقت اليابان ٧٥٤ مليون دولار لزوم الاستقبال والمياه المعدنية.. واللقمة اللى عملوها للوفود.. أما الرئيس كلينتون فقد ترك مفاوضات كامب ديفيد وساب اللى فى إيده وراح ع اليابان لكى يستشيرهم فى كيفية بناء مستوطنات سريعة التجهيز للغلابة الإسرائيليين، وعلى الجانب الآخر (وحتى يعدل بين الطرفين) طلب من العقول اليابانية اختراع مخيمات للفلسطينيين من الكلينكس عشان الصيف جاى حر قوى السنة دى.. ولابد أن اليابانيين كانوا مقموصين لأنهم حطوا الأكل واستنوا كلينتون ييجى. وما جاش.. لكنهم طاروا من السعادة والفرحة حينما علموا بمجيئه.. وخدوه م المطار على بيت الضيافة المعد خصيصًا له.. على أساس ياخد دوش ويغير هدومه.. ودخل كلينتون بيت الضيافة واندهش.. ياللمفاجأة.. إن البيت صورة طبق الأصل من بيته الذى ترعرع فيه بولاية أركنساس.. مش ممكن!! دى أوضة نومى!! حتى الصور اللى كنت معلقها فيها منسيتوهاش وإيه ده؟! ده الحصان الخشب اللى كنت باركبه وأنا صغير..وآدى الدرابزين اللى كنت باتزحلق عليه. ثم نظر تحت بير السلم.. وصرخ من هول المفاجأة.. كارميللا.. ونزلت دمعه من عينيه.. لقد أتوا له بشبيهة طبق الأصل لكارميللا.. أول بنت عرفها وهوه فى ثانية إعدادى أيام لما كان حب الشباب هاريه.. وجلس الثمانية الكبار على العشاء الذى تكلف ملايين

الدولارات يبحثون قضايا تلك الدول النكد الفقيرة التى لا حديث لها سوى عن المجاعات والديون ووجع الدماغ.. ويهمس اليابانى المعجب فى أُذن كلينتون.. عجبك البيت؟ فيرد كلينتون مبتسمًا فى سعادة محصلش.. فقال اليابانى بكرم دافق: نلفهولك.. وأصدر أمره إلى مساعده فورًا قائلاً: بيت الرئيس الأمريكى يتلف ويتشحن معاه ع الطيارة (د ليفرى).. إحنا أى خدمة، ولما طالت غيبة كلينتون فى اليابان.. ووصلت المفاوضات إلى طريق مسدود فى كامب ديفيد، ثار عرفات وغضب فى وجه مادلين أولبرايت.. وقال لها.. أنا ماليش كلام معاكى.. أنا رايح للراجل اللى متكلم معاه من الأول.. وطار عرفات إلى اليابان ليلحق بكلينتون واستقبله اليابانى المهم، وخدوه من المطار على بيت الضيافة المعد خصيصًا له.. نسخة طبق الأصل من الخيمة اللى كان عايش فيها.

جوابات من القرن اللى فات

أحب أن أتصفح المجلات القديمة.. أحب فترة العشرينيات والثلاثينيات، أما الأربعينيات فأنا لا أحبها فقط أعتقد أننى عشتها أيضًا، وكما نسعد جدا حينما نتصفح البوم الصور القديم الذى يحوى صورنا ونحن أطفال.. فالمجلات القديمة هى البوم لأفكار لم نعشها.. هكذا كانت السياسة أيامها وهكذا كان الفن.. والأجور.. وهكذا كان يفكر الناس.. وعليه فإن أكثر ما يشدنى فى مجلات زمان.. هى خطابات القراء..

فى مجلة كل شىء العدد الصادر بتاريخ ١٨ يناير ١٩٢٦ خطاب من القارئ أ. نصر بشبرا مصر يقول فيه..

"أنا شاب دون العشرين وهبنى الله كل ما تطلبه آنسة فى زوجها المأمول، ولا أريد من زوجتى إلا شرطًا واحدًا.. فإن قبلته أتزوجها بكل شروطها، والشرط هو أن تكون طوع إرادة أمى التى أقدسها وأحبها فوق كل شىء فى الوجود".

ولم يكن يتصور الأستاذ نصر بشبرا مصر أن كاتبًا طاققًا فى القرن الواحد والعشرين هو الذى سيرد عليه بعد خمس وسبعين سنة..

اعلم يا بنى.. عفوًا.. يا أبى.. عذرًا يا جـدى.. أن خطابك لفت نظرى بحق.. صحيح أننى تأخرت فى الرد عليك.. إلَّا أننى لم أجد بعد الآنسة التى ينطبق عليها شرطك الرائع.. ولا أعلم إذا كنت قد وجدتها بالفعل وتزوجتها.. وكانت طوع إرادة الست الوالـدة أم لا؟! وإذا كـان هـذا الـشرط الـذى وضعته نابعًا ممـا شاهدتـه حضرتك فى منتصف العشرينيات من القرن الماضى من سوء معاملة الزوجات لأمهات أزواجهن، فزوجة القرن الواحد والعشرين لم تعد طوع إرادة أمك ولا أمها ولا أنت شخصيًا. والذى يعجبنى يا حاج نصر فى خطابك أنك لم تشترط مواصفات جسدية أو ماديـة فى عـروس المستقبل، وإنما وضعت شرطًا أخلاقيًا رائعًا.. فـإذا كنت دون العشرين من العمر وتفكر بهذه الرصانة والعمق، فأنا واثق أنك عشت عازبا طوال حياتك.

وخطاب آخر من م. أبو عاشور الغربية..يقول فيه..

"عمرى حوالى السبعين.. غنى يبلغ دخلى خمسين جنيهًا مصريًا شهريًا من إيراد أملاكى.. لى خمسة من الذكور وثلاث إناث كلهم يرثوننى، قوى البنية طويل القامة.. أريد زوجة لا تتجاوز الثامنة عشرة

سوداء العينين مقرونة الحاجبين، أورثها حال زواجى بها عشرين فدانًا من أرض مديرية الغربية.

م. أبو عاشور
مجلة كل شىء ١٩٢٦

بحسبة بسيطة نستطيع أن نؤكد أن عمنا أبـو عاشور ولد فى منتصف القرن التاسع عشر، وأنه كان راجل مريش وعنده أملاك.. وبيخش له خمسين أهيف فى الشهر.. أيامها كانت العمارة بجنيه وربع.. ورغم ذكوره وإناثـه اللى بالكوم، إلا أنه لا يزال يضرب إيده فى الحيط يفتحها، ولم تكن الفياجرا قد ظهرت بالتأكيد، إنما هيه النية الحلوة.. وربع كيلو سمنة بيلهطه ع الريق.. ويشترط أبو عاشور شروطًا مختلفة تماما عن شروط أ. نصر بشبرا فهو راجل رايق عاوزها ١٨ سنة، وعاملة حواجبها وسيعطيها عشرين فدانًا من أرض مديرية الغربية التى أعتقد أنه كان واخدها بوضع اليد.. مش بيقولك كان هجمه وطول بعرض.

وأبو عاشور كتب خطابه هذا وهو فى السبعين من العمر، يعنى واخد من عند الخديو إسماعيل وأنت نازل لحد الملك فـؤاد.. وبرضه ما انهدش، واسمح لى أن أرد عليك يا كابتن أبو عاشور.. مع ثقتى الكاملة أنك لسه عايش.. فهذه النوعية من البشر لا تموت بسهولة

فمن يعطى عشرين فدانًا لبنت عشان بتعمل حواجبها، رجل لا يهمه شيء وضاربها ستين برطوشة.. ولا يعرف أى شيء عن ذلك الاختراع الإنسانى البشع الذى اسمه الهموم.. اسمح لى أقولك أنا قـدامى واحدة بتاعـة عشرين سنة وعاملة "تاتو" تمشى معاك دى ولا لأه؟

وفى تأملى لكلا الخطابين فى المجلة نفسها، وفى السنة نفسها لا أعلم لماذا أحسست أن ثمة علاقة بينهما، فهذا كهل مدلع نفسه وهذا شاب شايل الهم.. وأطلقت لخيالى العنان.. أسرح.. وماله.. أكيد نصر بتاع شبرا ده.. يبقى ابن الكابتن أبو عاشور.. ألم يقل أبو عاشور إن عنده خمسة من الذكور، أكيد نصر ده واحد منهم، ولما لقى أبوه هارى نفسه ومش عاتق ساب لهم المديرية باللى فيها وطلع على شبرا، وراح واخد أمه معاه، أبو عاشور اتجنن.. قالك ودينى وإيمانى لأزلها.. وراح باعت للمجلة طالب عروسة تكون عاملة حواجبها.. ويبدو أنه تم له ما أراد.. ولهطت السنيورة العشرين فدانًا بالملقاط.. وماتت أم نصر من الحسرة.. وتبعها أبنها نصر هـو الآخر حزنًا على فراقها، ولأنه لم يجد الزوجـة التى تكون طـوع إرادتها يالللفاجعة!!! يا للمآساة!! لـن أقـرأ مجلات قديمة بعد ذلك، أنـا مالى وخطابات مر عليها قرن من الزمان.. هل بلغ بى الطقطقان أن أهمل رسائل قرائى الطاقين العايشين طوال هذه المدة.. واهتم برسائل كتبها أصحابها فى العشرينيات؟ أين

جواباتكو يا أعزائى ـ أنتم أولى بالباب وأحق بالرد.. أين حبايبى.. أحمد الجيزة.. ولاء عبد الرحمن وكمال عبد الحليم ونبوى هلال.. وصافى وسلوى وعبير.. وحشتونى.. سأعود للـرد على خطاباتكم بنفسى بدلاً من أن أؤجلها هى الأخرى مائة سنة أخرى.. أفض خطاباتكم.. هـذا أول خطاب.. سأرد عليـه.. يقـول لى فيـه الصديق الطاقـق!! "عزيـزى يوسف.. هـل حنـان ترك لا تزال مـرتبطة؟!"

الإمضاء ـ م. أبو عاشور ـ مديرية الغربية ـ ألم أقل لكم.. أنا عارف إنه لسه عايش ـ ربنا يهدك يا أبو عاشور.

فصوص من الدم

كلام كثير ومؤتمرات حول تجارة الماس فى أفريقيا.. فتجار الماس هم الذين يمولون الحروب والفظائع المهولة التى يندى لها الجبين، فتتحول الجثث الملقاة فى بشاعة، وأنهار الدماء تتحول بقدرة قادر إلى.. فص.. فص.. من الألماظ يرصع خاتمًا من الذهب فى إصبع امرأة جميلة. فهل إذا دعكنا هذا الفص.. ستطلع عفاريت هؤلاء الذين ماتوا؟ وهل ستهتف بنا شبيك لبيك أم ستلعننا وتلعن سنسفيل جدودنا على هذه الوحشية واللاآدمية؟!

وفى مصر القديمة كان الخاتم يصنع من الذهب الخالص وعليه اسم صاحبه، إذا كان فرعونًا، أما العامة فكانوا يرتدون خواتم من الفضة والشبَّه والزجاج.. وكان الخاتم عندهم رمزًا للسلطان.. ومن قصة يوسف الصديق فإن فرعون ألبسه خاتمه لما قلده الوزارة.. وكاليجولا الحاكم الرومانى الديكتاتور حين نزل إلى الشارع وصاع

وتسكع بين العامة وعاش مع بنات الليل وعلب الفجور.. ألقى به فى السجن مع المجرمين ولم ينقذه سوى الخاتم الذى عرف به.. طلعلهم الخاتم.. ففتحوا له باب السجن. والخاتم اشتق العرب اسمه من "ختم" لأنه كان يستعمل للختم.

ويقال إن ابن عمر بن عبد العزيز اشترى فص خاتم بألف دينار، فكتب إليه عمر وقال له: عزمت عليك أن تبيع خاتمك بألف دينار وتجعلها فى بطن جائع، وأن تستعمل خاتمًا من الفضة وتنقش عليه "رحم الله امرءًا عرف قدر نفسه". ونقش الخلفاء والسلاطين على خواتمهم الحكم والآيات، بعد أن كانوا لا ينقشون سوى الأسماء.. فنقش أبو بكر على خاتمه "نعم القادر الله"، ونقش عمر بن الخطاب "كفى بالموت واعظًا يا عمر". والوليد بن عبد الملك نقش على خاتمه.. يا وليد إنك ميت ومحاسب..

وهكذا تحول الخاتم من حالة المباهاة والتفاخر.. إلى حالة أخرى تذكر صاحب السلطان بما هو أكبر منه وبزوال الملك مهما طال، وارتبط الخاتم بالسحر والأساطير.. ومنها خاتم سليمان الحكيم وخاتم علاء الدين.. ويقال إن سليمان كان إذا تمعن فى فص خاتمه رأى كل ما شاء الله رؤيته.. وإذا لمسه ازداد حكمة فوق حكمة وقوة فوق قوة.. ويقال إن سليمان دخل يستحم ذات مرة وقد ترك خاتمه..

فسرقه أحد الخدم ورماه فى البحر.. فاغتم سليمان لذلك كثيرًا.. وكره المُلَك وبلغ اليأس منه أشده.. وذات يوم كان يتناول غداءه فوجد الخاتم فى جوف سمكة.. فعادت إليه حكمته..

أما خاتم علاء الدين فقد أعطاه إياه الساحر الإفريقى الذى أدخله المصباح العجيب، وإذا لمسه يخرج المارد ويقول شبيك لبيك وينفذ له كل طلباته، وارتبط الخاتم أيضًا بالموت أو بالأحرى بالانتحار.. وهى الخواتم المسمومة.. ويقال إن هانيبال القائد العسكرى المهول.. مص السم من خاتمه بعد أن فشل فى معركته يوم "زاما" ويقال إن "الزباء" وهى إحدى جميلات العرب كان "عمرو بن عدى" يتمناها لنفسه ويحاصرها بكل الطرق، ولما أدركت الزباء أنها لن تستطيع أن تتخلص من رزالته عليها مصت السم من خاتمها وهى تقول: بيدى لا بيد عمرو.

واقترح الإيطاليون فى القرن ١٤ أن يختار فص الخاتم حسب الشهر الذى ولدت فيه العروس، وكل حجر له بركاته، فالياقوت يعطيها الحكمة والطاقة على احتمال شقاء الحياة.. واللازورد يطهر قلبها ويسعدها، والزمرد يحفظ صحتها ويقيها الجن. والياقوت الأصفر يجعلها مطيعة لزوجها طاعة عمياء.. أيوه.. هوه الياقوت الأصفر ده إلا أنا بادور عليه من الصبح.. إحنا نشيل الفص اللى جايبلنا الكلام

ده.. ونحط بداله الياقوت الأصفر.. ولكن زوجتى العليمة بتاريخ الخواتم قالت لى.. ولكن الزوج فى فرنسا كان يهدى عروسه اثنى عشر خاتمًا لكى تتختم بواحد كل شهر، هنا.. وأمام الأمر الواقع - الجواهرجى - لاحظت زوجتى أننى أقرب خاتمى الذى ارتديه إلى فمى كثيرًا وأنا أقول يائسًا: بيدى لا بيد الجواهرجى.

شفتوا العروسة.؟ آاااه
شفتوا العريس؟. الله!!!

فى المقهى:

كان يوم أربع.. ولكنك يا أخى تشعر (معرفش ليه) أنه كان يوم تلات. وقد بدأ ذلك اليوم بالتهاب فى الزور... أو تحديدًا فى سقف الحلق.. حيث تحس أن دبوس إبرة معلق فى سقف حلقك.. وهى المقدمات الطبيعية لذلك المرض البشع الذى اسمه قال.. برد!! كل هذه الآلام والسخونة والدوخة والضعف. ثم نطلق عليه بكل بساطة برد.. يا ناس اتقوا الله.. وأكثر ما يؤلمنى فى دور البرد ليست الأعراض ولا المضاعفات، وإنما نصائح كل من حولى، فالكل خبراء استشاريون فى البرد.. هذا يصف لى دواءً وهذا يصف لى وصفة بلدى.. وهذا يعطينى نظامًا لحياتى أمشى عليه.. عليك بكذا.. لأ.. بطل كذا خالص.. يا نهار أسود مين اللى كتب لك ع الدوا ده؟! أنت ما قريتش إن الدوا اللى بتاخده ده كله مسموم!! ويا جماله بأه.. مع التهاب

الزور.. حينما يأتينى صوت المدام لتبشرنى بأن فواتير التليفونات أربعة آلاف جنيه، مما يؤكد أن المواطن المصرى يعمل من أجل أن يتكلم ولا يكد ويكدح من أجل لقمة العيش، وإنما من أجل الخط، وسيخترع التليفون المحمول أنماطًا جديدة من الفقراء.. حيث سنجد أحدهم واقفًا على باب السيدة وهو يقول.. ساعدوا العاجز، نفسى أبعت رساله ربنا ما يحرمكوا من ضناكوا.. وأمد يدى فى جيبى لأعطيه كارت بثلاثين جنيه على ما قسم.. فتنكتب لى حسنة فى ميزان حسناتى.. وتنكتب لموبينيل ٣٠ جنيه زيادة فى ميزان الإيرادات.. ياللا.. كله عند الله.. تلاحقنى دعوات الشحاذ... إلاهى تفتح البلوتوز تلاقى خيرات ربنا جايالك.. ويا جمال أمه بأه.. مع التهاب الزور وفواتير التليفونات..لما تيجى قعدتك قدام نشرة الأخبار.. فتسمع عن براكين فى اليابان وأعاصير فى تايلاند.. حرائق فى أمريكا.. ودمار فى العراق وانفجارات معرفش فين ثم تجد آلاف الجثث من كل الجنسيات والمذيع يبتسم.. ويقولك.. ولم يصب أحد بسوء!!!

وهل هذا يكفى؟ أبدًا.. وزير الإسكان عاوز يردم النيل.. والجرائد تنشال وتنهبد.. إزاى يعنى يردم النيل؟ دى مصر هبة النيل ـ وبعدين هو ماله بالنيل.. ده وزير إسكان يعنى طوب ورمل وزلط.. ويقترح أحدهم.. أن يعين وزير الإسكان وزيرًا للنيل.. وساعتها ح يردم البلد كلها عشان خاطر النيل يسرح فى الشوارع.. كل هذه الأفكار كانت

تدور فى ذهنى! فى ذلك اليوم الكئيب مش بقولك كان يوم أربع كارف على تلات!!.

وأنا جالس على المقهى حينما مر بى الجرسون فسألته.. محدش سأل عليا يا حدوته.. فأجاب حدوته..يسأل عليك إمتى.. ما أنت قاعد هنا من امبارح.. يا لصفاقة الإجابة.. فعلاً أنا ماروحتش من إمبارح.. عشان كده يوم الأربع جاى شبه التلات.. أصلى ما قفلتش التلات وطبقت ع الأربع علطول.. لقد فقدت إحساسى بالزمان والمكان..

اسمع يا حدوته هوه أنا نمت؟! أجاب حدوته.. أيوه يا باشا خطفت لك ساعة وانت قاعد..

بدأت ملامح يوم الأربع فى الظهور.. حقًا.. نقوم بأه أحسن يكرف ع الخميس..

قطع عليا شرودى.. مجىء حدوته.. وهو يهمس فى أذنى معرفش ليه بكلمات غير مفهومة.. هؤلاء القهوجيه دائمًا يهمسون لك.. وكأنك تاجر مخدرات.. صرخت فيه.. فيه إيه يا بنى.. ما تعلى صوتك قال.. فيه ناس عاوزينك بره يا باشا..

ـ ناس مين؟!

ـ ست كبيرة عاوزه حضرتك..

ـ عاوزانى ف إيه.

ـ وأنا إيش عرّفنى..

ـ اسمها إيه؟

ـ ليزابيث.

ـ إيه؟

ـ ليزابيث يا باشا

ـ دى مصريه؟

ـ لا خواجايه بس شكلها يقطع القلب يا باشا ـ الظاهر مش مظبوطه بتقول لى لامؤاخذه يعنى.. قوله الملكة إليزابيث عاوزاك.

ـ الملكة إليزابيث ملكة إنجلترا..

ـ بتحصل يا باشا، أنا جوز أختى بعيد عنك سخن شوية دماغه ضربت، قام من النوم فاكر نفسه كوفى عنان.

ـ ملكة انجلترا ح تجينى ع القهوة؟!

ـ أنت مستقل بالقهوة دى يا باشا دى بيقعد عليها ناس جامده قوى مأمور القسم بييجى وبتوع الحى.

قمت من مكانى وأنا ألعن يوم الأربع هذا لأجد أمامى ويا

للمفاجأة.. الملكة إليزابيث جالسة فى الكنبة الخلفية لسيارة إنجليزية عتيقه يقودها سائق إنجليزى كأنه تمثال منحوت من الشمع، أشارت لى جلالة الملكة أن أجلس بجوارها..

فتح لى السائق الباب باحترام إنجليزى ـ لا استحقه إطلاقًا ـ ودخلت..

قلت لها: جلالة الملكة.. معقولة؟! هنا فى القهوه.. لماذا لم ترسلى لى وأنا أجيلك فى قصر بكنجهام.. أؤمرى جلالتك..

ـ أنا جايالك فى أمر خطير.

أطل حدوته برأسه متهللاً.

حدوته: هيه جلالة الملكة يا باشا؟! مش قلت لك هوه أنا عبيط عنها ـ دى القهوة نورت والدنيا كلها.. يا نهار أبيض يا جدعان.. الملكة عندنا.. والنعمة الشريفة يا حاجة كلنا بنحبك سيبك من اللى بيعمله تونى بلير ده واد طايش.. إنما أنت الغالية... أجيب إيه يا جلالة الملكة؟ شوب عصير قصب كده فى السريع.. (والتفت حول السيارة أمة لا إله الله.. يهتفون للملكة). ولم أستطع أن أتحمل هذه المهزلة وبضهر إيدى على وش حدوته.. وقلت للسائق الإنجليزى.

ـ إطلع يا أسطى.

ولما كان السائق إنجليزيًا فلم ينصع لأوامرى خصوصًا فى وجود الملكة..

فى سيارة الملكة إليزابيث:

قالت لى الملكة فى الطريق: هذه ليست زيارة رسمية، لا يعرف بها أحد لا فى لندن ولا فى القاهرة أنا عازماك على العشا..

قلت لها متوجسًا.. وليه الفال ده جلالتك.. ده فال وحش ما ممدوح حمزة كان جاى ياكل عندك برضه.. ومسكوه تحرى.. ولا سألتى فيه ولا حتى تليفون لأى صول فى الداخلية يطلعه..

قالت الملكة.. يا يوسف يا بنى.. أنا فى أزمة كبيرة.. ابنى تشارلز ح يجيبلى السكر والضغط من اللى بيعمله فيا.. ونزلت دموع ملكية من عين الملكة، كانت أشبه بفصوص الألماظ ولا أعلم لماذا شعرت أن صوت خالد عجاج يأتى من بعيد وهو يقول:

طول عمرى متربى فى خيرها ـ هى الوحيدة مفيش غيرها.

قالت الملكة.. من خمسة وتلاتين سنة كان الأمير تشارلز شاب صغير.. وفى يوم أربع كان كارف على تلات برضه.. راح يركب خيل فى الاسطبل الملكى.. وشاف السخامه اللى اسمها كاميللا دى هناك

ـ وبدأت بأه تلف عليه وتلاغيه.. مره تقول أخاصمك آه.. ومرة تقول له أسيبك لا.. ومرة تقول له جدتى كانت ماشيه مع جدك.

ـ وده صحيح جلالتك.

ـ أيوه.. جدتها "أليس" كانت صايعة برضه ولفت على الملك إدوارد السابع ومرمطونا هما الاتنين..

ـ آه.. دى لعنة فى العيله يا جلالة الملكة.. طيب ماقعدتيش ليه مع تشارلز.. وكلمتيه؟

ـ قالت فى غيظ.. غلبت فيه.. هو أنا قادره عليه.. ده أنا يا دوب أجى أكلمه.. أقوله يا تشارلز يا بنى.. يقوم يهب فى وشى ويروح واخد بعضه وخارج من البيت.

ـ قلت لها خلاص كنت روحى لكاميلا وزوريها زيارة خاصة.. وقوليلها ابعدى عن ابنى أحسن لك يا ست انتى.

ـ وتفتكر دى تفوتنى وحياتك روحت لها من وراه.. واديتهوملها.

ـ وقالت لك إيه.

ـ قالت لى.. انشالله إنجلترا كلها تقف قصادنا.. ح اتجوزه.

ـ طيب ما دام الحكاية وصلت لتحدى كده ماكلمتيش البيت الأبيض ليه؟ ما هما بيتدخلوا فى كل حاجة فى الدنيا.. كنت روحى لوليه قادره زى كوندا ليزا رايس وقوليلها على القصة كلها وهى تتصرف.. دى تروح أى بلد تبرق التبريقه اللى تقوله يتنفذ.. دول

شالوا صدام حسين مش ح يعرفوا يشيلوا كاميلا.. دى حتى شبه أسلحة الدمار الشامل، وبعدين ما انتوا لما حبيتوا تخلصوا من ديانا.. خلصتوا منها.. عربية تحت النفق وحادثة وقيدت ضد مجهول.. يعنى هيه كاميلا معندهاش عربية.. نهايته انتِ عاوزانى أعمل إيه دلوقت؟

ـ شوف يا بنى.. أنا باشوفك فى برنامج الست دى أمى بتعطف على الأمهات وحنين يا حبيبى.. وأنا فى الآخر أم.. أنا لو الجوازه دى تمت ح اموت فيها.. وكل اللى طالباه منك.. إنك تفشكل الجوازه وعمرى ما حا انسالك الجميل ده أبدًا..

وارتمت جلالة الملكة فى أحضانى وأنا فى قمة الدهشة!! ملكة إنجلترا تتوسل لى بقلب أم بأن أفشكل جوازة ابنها وأنا ـ كما تعلمون ـ ضعيف أمام الأمهات حتى لو كن ملكات.. ووجدتنى أقول لها بحنان دافق..

ـ ماشى جلالتك.. نكلمه حاضر.. نخبط له مشوار لحد لندن..

ـ قالت الملكة: Thank you

ـ قلت للملكة: بس بالنسبة للبوكيت مونى ومصاريف المشوار يعنى جلالتك..

ـ قالت: إصرف اللى انت عاوزه وأنا ح احاسبك فى الآخر.. ولو خلصت لى الموضوع مش اديلك أقل من لقب سير.

ـ قلت لها: لا سير ولا لورد يا أم تشارلز.. إحنا عاوزين عرقنا..

فى الطائرة:

جالسًا بجوار الشباك.. أتأمل مصر من فوق وأنا ذاهب إلى لندن فى تلك المهمة التاريخية.. مرجعًا رأسى للوراء فى تمهيد تقليدى لأن يحدث فى هذه اللحظة فلاش باك.. حينما يتذكر البطل أشياء فى الفيلم قديمة يظل يشغلنا بها نحن الجمهور لفترة طويلة ـ ثم يعود لنجده نائمًا على الكرسى نفسه وكان فلاش باكى هذه المرة عن الأميرة ديانا..

فى التاكسى الإنجليزى العتيق:

قلت للسائق.. هل توافق يا عزيزى على زواج الأمير تشارلز من كاميلا؟

كنت أريد أن أعرف نبض الشارع الإنجليزى تجاه الزواج المرتقب.

قال السائق.. على آخر الزمن دى تبأه ملكة بريطانيا العظمى.. ده أنا لولا شارى التاكسى قسط كنت هجيت من البلد.

فى قصر بكنجهام:

كان لقائى بالأمير تشارلز إنجليزيًا باردًا..

هتفت به بود..

ـ سمو الأمير..

ـ نعم؟!

ـ ما تسيبك من الوليه دى..

ـ كاميلا؟!

ـ هوه فيه غيرها سموك.. أمـك متضايقه والشعب متضايق وبعدين مش دى يعنى المزه اللى تعمل القلـق ده كلـه.. دى ٥٧ سـنة.. شكلها مقبض قوى.. خنيقه قوى سموك.

ـ هوه أنت اللى حتتجوزها.. وانت مالك Where you from.

ـ من مصر سموك من Egypt.

ـ هيه مصر دى طالعالى فى المقدر.. دودى المصرى "يُشْقط" منى ديانا وانت جاى تفركشلى كاميلا!! اطلع بره..

ـ ده حتى ما يصحش سموك، ده أنا فى قصرك وفى منطقتك ولما أعمل معاك إيه المفروض آخد واجبى وأمشى.. وأدركت بعد نقاش طويل أن سمو الأمير راكب دماغه..

مع كاميلا:

فى قصر وندسور كان لقائى بكاميلا "صائدة القلوب"

ـ سيدتى.. إخز الشيطان.. ٧٢٪ من الشعب الإنجليزى غير موافق على الجوازه..

ـ يتفلقوا..

ـ الملكة لن تحضر الفرح وسيصبح شكلكوا وحش وح تبأه ليله طين فكرى فى الموضوع.. وبعدين حد يحب حد سنة ١٩٧١ ويتجوزه سنه ٢٠٠٥.

ـ إحنا قولنا ناخد فترة عشان نفهم بعض.

ـ انتوا فهمكوا بطئ للدرجة دى.. ٣٤ سنة بتفهموا بعض.

ـ دى حياتنا الخاصة.. ومحدش يتدخل فيها.. وقول للى باعتاك.. إنى ح اتجوز تشارلز.. مفهوم.. شربت قهوتك.. سمعنى خطوتك.. وزغرت لى كاميلا بعينيها تلك الزغرة التى فهمت منها إن أى كلمة زيادة مش ح يحصل لى كويس..

ح نبوظ الفرح:

مفيش غير كده بأه.. كان هذا هو القرار الأخير الذى اتخذته..

فى مقهى جانبى من شارع أوكسفورد ستريت.. جلسنا أنا ومعى صيع لندن.. قزايز البيره قدامنا.. والمخدرات.

ـ نعمل إيه يا رجاله؟!

ـ نطلعلهم سى دى ونوزعه فى الهايد بارك.

ـ تشارلز بلاويه كتير.. أنا عندى صورة ليه وهو بيلعب فى مناخيره.

ـ وهيه بلاويها أكتر.. أنا عندى صورة ليها وهى بتلعب فى مناخيره.

ـ اتكلنا على الله يا رجاله.. نطلع دلوقت ع الهايد بارك.

إحنا عملنا اللى علينا:

والباقى على ربنا.. لو عدوا الأربعة وعشرين ساعة اللى جايين من غير ما تشارلز يتجوز كاميلا يبأه فيه أمل الليلة تعدى على خير، ولو اتجوزوا بعض.. يبأه ده أكبر عقاب ليهم.

وفى ليلة الـ Inter اللى هيه الدخله يعنى، عشان بس إحنا بنتكلم من لندن ـ سيكتشف الأمير تشارلز أنه أخد زومبة كبيرة قوى لا تضاهيها إلا الزومبة التى أخذتها كاميلا بزواجها منه..

ولكى أرفِّه عن الملكة اليزابيث فى المحنه التى تمر بها..

أنا يا إخواننا مستعد اتجوزها.. وامرى لله.. بشرط ألا أركب معها أى سيارة تمر تحت أى نفق.. وألا أتزوجها يوم أربع يكون كارف على تلات!!!

ما أشبه الليلة بالبارحة

أكاد أجزم بأن الرئيس الراحل رونالد ريجان.. هو خير معبر عن أمريكا.. فهو كما تعلمون بدأ حياته ممثلاً.. وأنهى حياته مريضًا بالزهايمر.. والطبيعة الأمريكية بها من هذا وذاك.. التمثيل والنسيان.. فأمريكا تمثل دور الديمقراطية على أعلى مستوى، ثم فجأة تنسى كل ذلك فى لحظة.. وتطلق جيوشها على البلاد وتتدخل فى الشئون الداخلية لبلاد أخرى..

بل إنك إذا تأملت رئيس أمريكا ـ أى رئيس يعنى ـ لشعرت أنه ممثل يقوم بدور رئيس أمريكا..

من ٦٠ سنة بالضبط.. يعنى عام ١٩٤٥ قالت ترومان الرئيس الأمريكى إن المدنية كلها ستنهار إذا لم تقمع روح الحرب والعدوان.. ولن نسمح بعد اليوم لأية أمة أو لأية مجموعة من الأمم بمحاولة تنفيذ آرائها بالقنابل وأسلحة الخراب.. نفس الكلام الذى سمعناه من

كل رئيس أمريكى من أول جورج واشنطن لغاية كيرى اللى ربنا ماوفقوش فى الانتخابات.. والمضحك أن أم جورج واشنطن قالت لابنها: لا يحتاج الحكم يا ولدى إلى علم وفلسفة وقوة، إنما يحتاج إلى أخلاق!!! مما يؤكد أن أم واشنطن كانت ست بركة وقلبها كان حاسس باللى ح يحصل..

واسمحوا لى أن أحكى لكم حكاية أمريكية.. حدثت من ٢٠٠ سنة بالضبط يعنى عام ١٨٠٠.. حينما كانت القرصنة متوطنة فى سواحل شمال أفريقيا، كان القراصنة يخرجون من سواحل ليبيا ويهاجمون السفن ويستولون عليها ويأسرون رجالها، ويطلبون فدية لإطلاق سراحهم.. وتعرضت السفن الأمريكية لحوادث متعددة.. فطلبت من يوسف كرامانلى حاكم ليبيا وقتها أن يتولى حماية السفن الأمريكية نظير دفع مبلغ معين.. وبعد مفاوضات مع القنصل الأمريكى.. قبل يوسف هذه المهمة لقاء ٤٠٠ ألف قرش سنويًا.. وتروح الأيام وتيجى الأيام.. قول بأينا فى آخر السنة وراح يوسف الكرامانلى ياخد المعلوم، فإذا بالقنصل الأمريكى يطبقله ١٢٠ ألف قرش فى إيده وهما دول وإذا كان عاجبك.. يا عم إحنا متكلمين ومتفقين على ربعمية!! وهنا بأه ظهر الزهايمر الأمريكى.. ربعمية إيه.. أنا عمرى ما طلعت ربعمية دى من بقى..

وجن جنون يوسف الكرامانلى. فأمر رجاله بنهب القنصلية الأمريكية.. أهو ياخد منهم أى حاجة ما دام كلوا عليه الفلوس.. واستاءت حكومة واشنطن من هذا العمل العدائى وقررت إرسال حملة بحرية بقيادة ريتشارد دالى وأمرته بأن يستولى على طرابلس.. وهكذا تحول يوسف الكرامانلى بقدرة قادر من حامى حمى المصالح الأمريكية فى المنطقة إلى عدوها اللدود..

وجاء دالى إلى السواحل الليبية بعد رحلة طويلة شاقة.. ولكنه لم يستطع أن يفعل شيئًا أمام حصون طرابلس المنيعة ومدفعيتها القوية.. حظهم وحش قوى الأمريكان فى الحروب وبالذات عندنا!! ورجع ريتشارد دالى بعد أن خسر بعض السفن، وأرسلت أمريكا حملة ثانية بقيادة (موريس) وفشلت فشلاً زريعًا. ثم حملة ثالثة بقيادة (إدوارد بريبل) وفشلت.. وقررت واشنطن أن ترسل جيشًا بريًا قويًا.. واستعانت بدليل ماهر عارف المنطقة كويس وخبير بالصحراء واسمه أحمد كرامانلى.. لاحظتوا حاجة؟! أيوه.. مظبوط ـ ما هو أحمد كرامانلى ده يبأه أخو يوسف كرامانلى بس طرده من البلاد وسلبه أمواله.. وكان هربان عندنا فى مصر وعن طريق أبو حميد.. استطاعت الجيوش الأمريكية أن تحتل "درنه" التى كان يقيم بها يوسف كرامانلى.. لأول مرة فى التاريخ.. وانتهت الحرب بالمفاوضات.. التى

انتهت على أن يتولى يوسف كرامانلى حماية السفن الأمريكية دون أى مقابل ـ ووقعت المعاهدة فى ١٨٥٥..

هكذا انتهت الحدوته بأن يخسر يوسف كرامانلى الربعمية ألف قرش والميه وعشرين ألف كمان.. ويشتغل بلـوشى لصالح أمريكا كما انتهت أن يـوسف كرامانـلى بعد أن رحل الجيش الأمريكى.. أحضر أخوه أحمد.. وقال له.. بأه أنت اللى تجيبهملى لحد هنا يا حماده.. معرفش عمل إيه فى أخيه لحد دلوقت؟ ولا أعلم لماذا لـم تعين أمريكا أحمد كرامانلى حاكمًا على ليبيا مكافأة له على خدماته الجليلة، وتمسكت بيوسف كرامانلى؟! إذن كرامانلى غدر بأمريكا.. وأحمد كرامانلى غدر بيوسف أخيه.. وأمريكا غدرت بأحمد كرامانلى.. وما أشبه الليلة بالبارحة.

الثمن غالى جدا

حسنًا سأكتب هنا.. اتفقنا.. سنلتقى هنا كل أسبوع.. إلى متى؟! لا أعرف.. وماذا سأكتب لا أعرف.. واسمحولى أن أنتهز الفرصة.. وأقول لكم إننى كتبت فى أماكن كثيرة قبل ذلك.. ثم فجأة اختفيت.. واختفى العمود والاسم والصورة.. وكأننى لم أكتب.. وكأننى لم أكن.. كيف كتبت.. ثم كيف توقفت؟ ثم كيف عدت؟ ستظل هذه الأسئلة دون الإجابة إلى الأبد.. الشىء اللافت للنظر أننى حينما توقفت.. لم يشعر أحد بذلك وكأننى لم أكتب.. وها أنا أعود ولن يشعر أحد بذلك.. الكل فى الاستاد طبعًا.. وربنا يوفق حسن شحاته.. فعلا انسب وقت للعودة..

ولكم عندى اليوم قصة.. ولأصارحكم من البداية إن هذه القصة ليست قصتى والله لولا إنه أول مقال ولسه بنسخن، لقلت لكم إنها قصتى أنا.. إن كل القصص تتشابه.. بل كل من حولى يعتقدون أنهم

أصحاب القصص التى أكتبها، ولكن لنعترف أن القصة من تأليف الكاتب الروسى العظيم تولستوى (ولكن لا تعتادوا على ذلك) فسأقص عليكم بعد ذلك قصصا كثيرة وسأنسبها لنفسى.. إنما قبل أن أقص عليكم قصة تولستوى.. أود أن ألفت نظركم إلى أن تولستوى نفسه اقتبسها من الكاتب الفرنسى المعروف موباسان، وقد اعترف تولستوى بذلك، ولم أشأ أن أفتش وراء موباسان هو الآخر.. فربما طلعت مقتبسة منى أنا فى الآخر، والقصة اسمها "غالى جدا"، وهو يتكلم عن مملكة صغيرة اسمها موناكو، تقع بين فرنسا وإيطاليا، وهذه المملكة الصغيرة لم يكن بها سوى سبعة آلاف نفس، ومع ذلك فهذه المملكة اللعبة لم تكن كده وكده، وإنما كان لها ملك حقيقى له قصر وحاشية ووزراء وجيش، والجيش ليس كبيرًا، ستون رجلا فقط، إلاَّ أنه جيش على أى حال، فى تلك المملكة أيضًا ضرائب كما فى أى مكان آخر.. ولكن حصيلة الضرائب التى كانت تجبى منهم لم تكن تكفى رواتب الملك وحكومته، وعلى ذلك كان لجلالة الملك حفله تتويج وكان يكافىء ويحكم ويعفو، مثل باقى الملوك فقط فى صورة مصغرة.. فى حدود الميزانية، وحدث أن ارتكبت جريمة قتل فى المملكة لأول مرة.. فأهالى المملكة مسالمون جدا، وقد اجتمع القضاة وبحثوا المسألة، وأخيرًا قرروا إدانة المتهم وحكموا عليه بالإعدام كما يقضى نص القانون، ووقع الملك على الحكم.. كانت هناك عقدة

واحدة فى المسألة وهى أنه لم يكن عندهم لا مقصلة ولا جلاد.. وبحث الوزراء المسألة وقرروا إرسال طلب إلى حكومه فرنسا يطلبون استيراد مقصلة وجلاد لقطع رأس القاتل..

وبعد أسبوع وصل الرد: ليس عند الحكومة الفرنسية مانع من إرسال المقصلة والجلاد والتكاليف ١٦ ألف فرنك، وعرض الأمر على الملك فبحثه مليا، ١٦ ألف فرنك معناه أن يتكلف كل شخص من سكان موناكو.. فرنكين وشويه والناس لا تتحمل ذلك.. وقد تحدث ثورة.. وقرروا أن يرسلوا الطلب إلى حكومة إيطاليا.. فردت الحكومة الإيطالية قائلة إنه يسرها أن تبعث إليهم بالمقصلة والجلاد وأنها لا تطلب سوى ١٢ ألف فرنك غير تكاليف الانتقال، إلا أنه لازال غاليًا.. ودعى مجلس آخر للبحث فى الموضوع.. ألا يمكن لأحد من الجنود أن ينفذ الحكم بطريقة بلدى كده وزى ماتيجى..

واجتمع القائد بجنوده وقال لهم أمستعدون لقطع رأس المجرم؟ إلَّا أن الجميع رفضوا قائلين لا.. لا.. تعرف هذا شىء لم نتعلمه.. ما العمل..؟.. اجتمع الوزراء وتوالت اجتماعاتهم، وعقدوا لجانًا وأخذوا بدلات عن حضور اللجان.. إلى أن استقروا على أن يستبدل حكم الإعدام بالسجن المؤبد.. إن هذا به من جهه إظهار رحمة الملك. ومن جهة أخرى أرخص. ووافق الملك ولكن العقبة الوحيدة الآن هى أنه لا يوجد سجن فى موناكو، ومع ذلك فقد تغلبوا على هذه

الصعوبة إذ تمكنوا من العثور على مكان لا بأس به كسجن، ووضعوا فيه المجرم وعينوا شخصًا لحراسته يراقبه ويحضر له الطعام من مطبخ القصر.

وظل السجين عامًا كاملاً، وبينما كان الملك يراجع الميزانية وجد بندًا جديدًا فى المصاريف خاصًا بالمجرم ونفقاته، لم يكن المبلغ بسيطًا، حارس خصوصى وأيضًا طعام لفردين: المجرم، والحارس، والمصيبة أن المجرم لايزال شابًا لو عاش خمسين سنة أخرى سيخرب بيت موناكو، ودعا الملك وزراءه وقال لهم يجب أن تبحثوا عن طريقة أخرى أرخص للتعامل مع هذا المجرم.. قال أحد الوزراء.. من رأيى أن نستغنى عن الحرس ترشيدًا للنفقات، لكن وزيرًا آخر اعترض قائلاً: ولكن المجرم سوف يهرب. فرد الأول.. فليهرب إن ذلك فى مصلحتنا، ووافق الملك على طرد السجان، وفعلاً طردوا الحارس وتركوا المجرم وحده فى السجن ولكن لهم يهرب.

ذهب بنفسه إلى مطبخ القصر أحضر الطعام وعاد إلى السجن واقفل الباب وراءه.. وظل هكذا يوميًا.. أما من جهة الهرب فلم تظهر منه أى بادرة.. واجتمع الوزراء وقالوا يجب أن نقولها صريحة نحن لا نريدك.. وأحضره وزير الداخلية وقال له.. لماذا لا تهرب.. ليس عليك سجان يراقبك.. يمكن أن تذهب حيث تشاء، والملك متسامح فى ذلك.. قال المجرم ولكن إلى أين أهرب؟! وماذا يمكننى أن أفعل

أنا المجرم الوحيد فى البلد وسمعتى سيئة، سيبتعد الناس عنى أينما ذهبت، وزيادة على ذلك فلقد تعودت الكسل. أنتم السبب حكمتم على بالإعدام.. فى البداية استخسرتم فىَّ ثمن المقصلة وسكت ولم أتمسك بحقى فى الإعدام.. أبدلتم الحكم بالسجن المؤبد ولم تنفذوه، وطردتم الحارس، واضطررت أن أذهب بنفسى لإحضار الطعام، ومع ذلك لم أتكلم وقلت كلنا يجب أن نتحمل ظروف بلدنا والآن تقولون لى أهرب.

كلا يا سيدى.. افعلوا ما تشاءون.. ولكن لن أهرب ما العمل؟!! ودعى المجلس مرة أخرى لبحث الخطة التى يجب السير عليها.. وأخيرًا رأوا الطريقة التى يمكن أن يتخلصوا منه بها.. أن يرشوه لكى يهرب.. وأعطوه مبلغا من المال.. وهرب فعلا.. لكن كان يعود من أن لآخر ويبتزهم فيعطونه المزيد من المال.. ليهرب من جديد.. وهكذا انتهت القصة ولم يقل موباسان ولا تولستوى الذى اقتبسها منه إن هذا شجع كثيرًا من المجرمين فى موناكو أن يقلدوا المجرم الهارب الذى ضحك على الدولة وعاش فى نعيم بفلوس الحكومة ودافعى الضرائب.. فدفعنا الثمن غاليًا جدًّا.

الطريق الجديد

يا سيدى عارفينها..وحافظينها صم.. مصر هبة النيل.. والذى قالها هيرودوت.. أنا لا أعلم ماذا فعل لكم هيرودوت هذا؟! سواح يونانى وقال جملة وهو معدى.. قفشتوا فيها ومش عاوزين تسيبوها.. وهوه يعنى هيرودوت ما نص كلامه غلط وتخاريف.. أعجبتكم الجملة؟! حاضر.. ولكن ليس كل ما يقوله هيرودوت أو غيره.. نأخذه هكذا.. أمرًا مسلمًا به.

ولقد سمعنا مثلاً أن وزير الإسكان عنده مشروع لردم جزء من النيل، فثرنا ثورة عارمة وامتلأت الجرائد بجملة هيرودوت.. وهى أن مصر هبة النيل.. وهل هيرودوت يحب مصر أكثر يعنى من وزير الإسكان؟ نحن دائمًا هكذا حساسون بصورة مفرطة.. تذكرون طبعًا "محمود ياسين" فى فيلم الصعود إلى الهاوية حينما قبض على الجاسوسة الحسناء عبلة "مديحة كامل" وحينما وصلت بهما الطائرة إلى مصر..

نظر محمود ياسين من شباك الطائرة وقال للجاسوسة.. ده الهرم.. ده النيل.. دى مصر يا عبلة.. وعبلة شافت النيل من هنا وهات يا عياط.

نحن الذين أعطينا للنيل عبر أغانينا ورواياتنا وتاريخنا القديم تلك الهالة الأسطورية.. وهيرودوت طبعًا شارك فى الحكاية دى.. بالجملة اللى نقط بيها.. ولكن ماذا فعلنا بالنيل وماذا فعل بنا النيل؟ الذى حدث إن المصرى القديم اللى هو جد حضرتك جاء إلى هذه الدنيا فوجد نهرًا عظيمًا يشق بلاده من شمالها إلى جنوبها.. ووجد مياه النيل تمشى من الجنوب إلى الشمال عكس كل الأنهار.. فأطلق عليه المياه التى تجرى بالعكس.. فآثر جدنا المصرى القديم ألا يتزحزح خطوة بعيدًا عن النهر.. وظل أولاده وأحفاده يتكاثرون حول ضفاف النيل تاركين مصر كلها فاضياااه.. والزحام حول النيل جعلنا نتصارع ونكره بعضنا، وكل واحد نفسه يبصع اللى جنبه يلاقيه راح فى ستين داهيه.. والنيل هو الذى رفع أسعار الشقق التى تطل عليه إلى أرقام فلكية، وعلى النيل أيضًا عشاق يتهامسون بكلام من اللى قلبك يحبه.. وأيديهم متشبثه ببعضها..تؤدى إلى فرح على النيل وعروسه وعريس يلتقطان صورًا تذكارية فوق الكوبرى..

والنيل هو الذى علمنا التكاسل.. والتأمل والقعاد ساعة العصارى مأخوذين بسحره وجماله.. ونحن نحمد ربنا ونشكره أنه خلق لنا

النيل.. وإلا.. كنا اشتغلنا بأه!!.. ومع ذلك.. ورغم كل هذه الشاعرية التى منحنا إياها النيل.. إلا أننا لم نترك شيئًا إلا وألقيناه فى النيل.. من أول عروس النيل التى كنا نلقى بها فيه فى عيد وفاء النيل.. إلى نفايات المصانع.. والزبالة.. ومخلفات المراكب السياحية.. نفعل ذلك كله وما إن يقترح أحدهم أن يمس النيل نثور ونقلب الدنيا.. ولكن فكروا معى.. تخيلوا.. والخيال لن يكلفكم شيئًا.. ماذا لو وزير الإسكان ردم النيل كله؟! لماذا تحملقون فيا هكذا.. صبرًا.. أنا بقول نتخيل.. النيل زى ما هوه يا جماعه يجرى بالعكس من آلاف السنين أنا فقط أقول إذا يعنى ردمنا النيل.. وتحول نهر النيل إلى شوارع أسفلتيه عظيمة..وعمائر وفيلات على أعلى مستوى.. هنا لن نصبح فى حاجة إلى كبارى.. واخدين بالكوا.. يعنى كوبرى أكتوبر اللى بتقعد واقف ساعة عليه لن يعطلك بعد الآن.. أنت فى الزمالك وعاوز تروح بولاق أبو العلا.. خمس ثوانى تبأه هناك.. يا دوب ح تعدى الشارع.. والشقة فى الزمالك ستباع بسعر رمزى.. طالما أنها لم تعد تطل على النيل.. وإذا بعنا كل العوامات والفنادق العائمة بالعملة الصعبة سينتعش اقتصادنا بالتأكيد.. لاحظوا أننى دارس المشروع اقتصاديًا كمان ـ يلاحقنى أحد المعارضين بسؤال.. وثروتنا السمكية التى نعتمد عليها من النهر؟! أرد عليه بهدوء.. يا عزيزى.. أنت المياه تحيط بك من كل جانب.. من البحر الأحمر والمتوسط ومع ذلك نحن نستورد

الأسماك يا صديقى.. دعونا نواجه أنفسنا ولا نصدق كلام هيرودوت.. نحن لا نأخذ شيئًا من النيل.. سوى الأغانى والتأمل.. واللقاءات العاطفية، وهذا كله يمكن أن نحققه فى الطريق الجديد الذى سنشيده مكان نهر النيل.. وبعدين هيرودوت ده قال الجملة ورجع ع اليونان.. لا عايش معانا ولا حاسس بظروفنا.. وربما إذا ردمنا النيل لن يكون هناك معنى لأن نتكاثر ونزدحم حول هذا الشريط.. الذى التصقنا به من أيام الفراعنة.. وربما كبرت مصر بعدها وانطلقنا فى الصحارى.. نعمر.. ونتكاثر.. لقد ظللنا خائفين طوال عمرنا من منابع النيل أحسن حد يقفله علينا من هناك ما نقفله إحنا من هنا.. ونواجه أنفسنا.. ستكلمنى عن مياه الشرب.. أنا عارف.. ولكن لنقل الحقيقة.. تذكرون جميعًا تلك الجملة الشهيرة التى لا أعرف من قالها.. تلاقيه هيرودوت برضه ما هو كلامه كتير.. وهى أن من يشرب من مياه النيل.. لابد وأن يرجع إليه..كلام عجيب.. ناس تيجى ترمى كلام كده وتمشى وتسيبنا لا يصين.. هل جربت أن تضع فلتر فى الحنفية.. طبعًا فعلت ذلك وحينما فككت الفلتر لتنظفه ماذا وجدت؟!! أنا أعرف إن الشاى له تفل إنما الميه يبألها تفل دى جديدة.. ثم من قال لك إن المياه فى مصر مجانية؟ إن سعر لتر المياه ضعف سعر لتر البنزين.. وأنا لا أقول يعنى نردم النيل كله.. وإنما أقول.. يمكن أن نحفر نيلاً آخر.. من عند أسوان وتخش شمال كده فى الصحرا

وعلطول وأنت ماشى.. نيل بالعرض.. نتكاثر حوله مرة أخرى ونزدحم حوله مرة أخرى.. وترتفع أسعار الشقق المحيطة به.. ويجلس على ضفافه العشاق.. ويأتى إلينا مؤرخ يونانى يقول الكلمتين اللى ربنا يقدره عليهم ويفارقنا.. وحينما يأتى إلينا هنا.. ويشاهد الطريق الجديد الذى شيدناه مكان النيل.. سيؤكد لنا أن مصر ليست هبة النيل.. وإنما هبة وزير الإسكان.

مكتبتنا
بيت الكتب

ما نجيلكوش فى حاجة وحشه

دخلنا سرادق العزاء أنا وصديقى.. وجلسنا.. فى أسى.. برغم أن المرحوم لا تربطنا به أية صلة.. سوى أنه كان مسئولاً كبيرًا فى الحكومة.. وعزاءات المسئولين الكبار حينما يتوفاهم الله يحضرها مسئولون كبار آخرون على قيد الحياة.. يكون لقاؤنا بهم فى العزاء فرصة للتعارف وتخليص حاجات.. وأهو واجب بنعمله.. وأى مصلحة ما يضرش..

كان القارئ يعلم جيدًا.. أنه يقرأ فى عزاء له وضع خاص.. فكان يتفنن ويبدع ويجلجل وهو يقرأ.. وينظر نحو الداخلين ليتعرف على شخصياتهم فهذا وزير.. وهذا وكيل وزارة.. وهذا فنان معروف.. وذلك لاعب كره شهير.. وبعد أن أنهى الربع الأول.. بدأ بعض المعزين فى القيام يتأهبون للانصراف..

فإذا بالقارئ.. والله العظيم هذا حدث.. يشخط فى أحدهم ويقول

يا عم أنت لسه جاى قايم وماشى؟! لحقت تقعد؟! اقعد واسمع وجلس الرجل مذعورًا.. ولما كان أخوكم.. مزنوق.. وأريد أن أذهب إلى الحمام.. فقد تماسكت.. وقررت ألَّا أقوم من مكانى إلى أن ينتهى القارئ.. أحسن ما الواحد يسمع له كلمة ولا حاجة إحنا جايين نعزى. مش جايين نتهزأ.. ولكن.. مش قادر.. مش قادر.

فرفعت إصبعى وأشرت للقارئ إننى أريد الذهاب إلى الحمام.. فإذا به يقول فى الميكروفون.. خش يا أخى من هنا الحمام تالت باب ع الشمال!!.. هكذا يا عم الشيخ فى الميكروفون!!.. جامع عمر مكرم كله عرف إنى رايح الحمام!!

ذهبت وعدت مسرعًا لأننى لو لم أعد سيفضحنى عم الشيخ ويمكن يعلن فى الميكروفون أننى زوغت من العزاء.. جلست فى مكانى وحييته برأسى لأثبت حضورى فرد التحية.. جلست أتأمل الوجوه الجالسة بجوارنا.. لا أثر للحزن على أى منهم، وكلهم جاءوا لمجاملة معارف المسئول الكبير.. إلى أن.. نظرت أمامى.. ويا للمفاجأة..

هل تعلمون من كان جالسًا؟.. إنه المسئول الكبير نفسه المتوفى.. المرحوم بشحمه ولحمه جالسًا أمامى فى العزاء.. قلت لصديقى مذعورًا انظر أمامك.. هل ترى ما أراه.. فنظر صديقى.. وهو غبى

على فكره.. وقال: ماذا ترى؟.. اسكت بأه أحسن القارئ بيبص لنا.. قلت له يا عم الراجل اللى قاعد قدامك ده.. بص له..

قال صديقى: ماله.. قلت له مش ده المرحـوم سليم بيـه شافع.. قـال صديقى: آه إحنا ح نهزر بأه.. أنت شكلك كده جاى فايق.. قلت له يا عم ركز فى ملامحه.. هوه.. والنعمه الشريفة هـوه.. قـال صديقى: يـا أخى تلاقيـه أخوه.. ما هم شبه بعض..قلت له سليم بيه مالوش إخوات.. قـال لى: مـا يمكن ابنـه؟! قلت له بأه ابنه شعره أبيض كده..

قال: لازم من الزعل.. يا عم هوه والنعمة هوه سليم بيه شافع!! وصاحبى يهدئنى يا بنى ما تلمش علينا الناس.. أهوه الربع خلص.. قوم بينا.. أبأه عيل لو حضرت معاك عزاءات تانى.. ده أنت فضيحة!!.. بعد أسبوع تلقينا ببالغ الحزن والأسى نبأ وفاة شريف بيه عبد ربه.. وذهبت وحدى هذه المرة..

وجاءت جلستى بجوار صديقى.. كتم ابتسامة حينما رأنى.. وأدار وجهه.. لا أعلم لماذا.. بـالعب حواجبى أنـا؟! لـم أعـره اهتمامـًا..كـان القـارئ هـذه المـرة أقـل حدة من القارئ بتـاع سليم بيـه شافع.. وقبل أن ينتهى الربع.. رفعت رأسى.. ويا نهار أسود.. كان شريف بيه عبد ربه جالسًا فى ركن من العـزاء وحده.. يهز رأسه

فى أسى.. وبعدين بأاااه؟! وهمست لصديقى.. بص هناك كـده.. آخر الصوان على اليمين.. مين ده..

فأجاب صديقى.. وهو غبى جدًا عـلى فكره.. معرفوش.. يا عم أبوس إيدك.. بص له كويس.. مش شريف بيه عبد ربه.. قال وهـو يكاد ينفجر.. تـانى.. أنت ما بتحرمش.. أنت يعنى مستقصدنى!! إيه اللى بيجيبك تقعـد جنبـى بس!! خرجنا من العزاء وهو يلعن الظروف التى تلقى به أمامى.. وأمـام العـزاء قابلنا صديقًا لنا.. ولكنه ذكى جدًّا على فكره.. حكى له صديقى (الغبى جدًّا على فكره) ما حدث فى العزاءين الأول والثانى..

وأخذ يشكو له من أن دماغى لم تعـد تنفع بعد ذلك.. وأننى أعيش فى حالة من الهلوسة والتهيؤات.. وإذا بصديقـى (الذكـى جـدًّا عـلى فكره).. بكل بساطـة.. يقول: أنا حضرت عـزا سليم بيـه شافع.. وقابلتـه هنـاك.. وسلمت عليه.. وأهوه أنا لسه معزى شريف بيه عبدربه وسلمت عليه هو كمان.. فيها إيه.. مش فاهم!!.. إيه اللى مضايقك يعنى.. ونظر صديقى الغبى نحونا وقـد فتح فمـه فى بلاهة.. ولم يستطع النطق..

كان يظن أننى المخرف الوحيـد.. فوجـد لى رفيقا.. واستمر صديقى الذكى فى كلامه.. يا جماعة.. المسئولون هكذا.. ربما ينزل لهم نعى فى الجرائد.. وتقام لهم سرادقات عزاء.. هذه كلها مسائل

شكلية.. ولكنهم لا يموتون.. ده أنا حصل معايا اللى أنقح من كده.. رايح أعزى فى وزير مات.. فهتفنا به أنا وصديقى الغبى.. ولقيته فى العزا!! قال صديقنا الذكـى.. يـا ريت ده عـادى.. قلنا لـه.. أما لقيت إيـه.. قـال: لقيته مـات فعلا..

شىء من الخوخ

طبق فاكهة موضوع على ترابيزة السفرة عليه ما لذ وطاب من التفاح والبرتقال والعنب والموز والمانجو.. تلمح كل ثمرة منها وتبرق وتقولك تعالى كلنى.. ألقى بشنطة المدرسة جانبًا وأقفز مثل النسانيس وأنا أنظر حولى فى حذر حيوانى خشية أن يكون واحد من إخوتى الأوغاد على مقربة من الفريسة.. ولكن غريبة!! إن كيلو الجوافة وحده كان يكفى لكى تندلع نيران حرب عائلية كبرى، فهل بلغ التهور بأمى أن تضع الفاكهة هكذا بلا حراسة فى متناول كل من هب ودب؟ أبلع ريقى فى شهوة.. بماذا أبدأ.. يقال إن الموز يقفل المعدة.. لنؤجله قليلاً.. هل استفتح بمانجاية ثم أدخل على التفاح؟!.. وأنقض بكلتا يدى على الفاكهة.. ولكن.. ما هذا؟! إنها خفيفة..وبلا رائحة و.. ناشفة.. و.. ياللتعاسة إنها بلاستيك.. مجرد لعبة للزينة..

وأنا فى مسألة الفاكهة لا أحب اللعب ولا الهزار.. وطلع إخوتى

من مخابئهم منفجرين فى الضحك.. لقد شربت المقلب.. أما أنا.. فبكيت بكاء حارًا.. وأصر أبى يرحمه الله أن يحول الهزار إلى جد.. ونزل ليشترى لى ما تيسر من الفاكهة التى أحبها.. فى البلكونة وقفت فى انتظار عودته أو بمعنى أدق فى انتظار الفاكهة التى سيحضرها معه رفضت أن أتغدا.. رفضت أن أغير هدوم المدرسة.. وكان إخوتى قد بدأوا فى ممارسة هوايتهم فى عمل فزورة عائلية جديدة حزر فزر.. بابا ح يجيب إيه معاه؟!! أرفع إصبعى فى شطارة قائلاً.. بطيخ.. ترفع أختى الصغرى أصبعها قائلة.. شمام وأخى الأوسط يقول متسرعًا جوافة.. ويجيب أخى الأكبر وهو أكثرنا دراية بحالة أبى المادية حرنكش.. وفجأة أثناء وقفتنا هذه تتسلل إلى أنوفنا جميعًا رائحة زكية رائعة شذاها ينتشر ويتوغل ويستمر ويستمر، ويظهر أبى على ناصية الشارع وفى يده الكيس، وفى عينيه نظرة فخر وتباهٍ وعظمة.. ويشير لنا من بعيد كأنه جمال عبد الناصر يعلن قرار التأميم، ونظرت إلى أبى بإعجاب.. كم كان بطلاً هذا الرجل.. ولم تعد الفزورة صعبة فى حياتنا العائلية.. وخرجنا جميعًا فى صوت واحد.. خوخ.. هيييه.

ووقفنا جميعًا عند الباب فى انتظار بابا أو بمعنى أدق فى انتظار الخوخ.. بعضنا ينزل على السلم ليستقبله من تحت.. وآخر يقف عند الباب ثم نهجم عليه جميعًا.. وقد صارت الرائحة تملأ المكان.. وكأن البلدية أرسلت عربية لترش رائحة الخوخ فى الشارع.. ولكنه يعطى

كيس الخوخ لأمى التى تقول تلك الجملة التى عكرت صفو علاقتى بها لسنوات عديدة.. الفاكهة بعد الغدا.. وقلت لها فى ضيق.. مش عاوز أتغدا.. انتو مالكوا بىّ.. أنا عاوز خوخ، ويمر الغداء ثقيلاً مملاً كئيبًا إلى أن يأتى طبق الخوخ.. وأول ما تقع عيناى على تلك الثمرة الكبيرة التى تشبه القطيفة النبيتى.. ونبدأ فى الأكل.. يالروعة طعمها.. يالرائحتها التى عبأت البيت كله.. وتظل هذه الرائحة فى بيتنا ثلاثة أيام فتصبح علامة يعرف بها الجيران شقتنا.. وإذا جالنا جواب.. يقولون لساعى البريد.. الدور الثالث عند عم محمود اللى عندهم خوخ..

ثلاثون عامًا مرت على موقعة الخوخ الشهيرة وها قد صارت الفاكهة الآن تستخدم ديودورانت (مزيل للرائحة) واختفت نهائيًا رائحة الأشياء.. وكارثة الرائحة أنك لا تستطيع أن تصفها لأبنائك فالرائحة حالة.. إحساس.. فإذا توقفت العصافير عن الزقزقة.. يمكن أن أقلدها لا بنتى.. زمان يا حبيبتى كانت العصافير بتعمل كده صوصو ـ صوصو. وإذا اختفت الألوان.. أستطيع أن أقول لها.. زمان يا حبيبتى.. التفاح كان لونه أحمر زى علم تركيا.. ولكن الرائحة كيف أصفها بالله عليكم.. هى ليست نكتة بالتأكيد حينما رأى أحدهم سيارة نقل تحمل أقفاصًا من المشمش.. فنظر لها وقال لصديقه.. ياه.. كل ده صفار بيض؟! وأخر كان يلقى قشر البطيخ فى الزيت ويقدمه على أنه

سمك فيليه.. وأكله الناس ولم يتعرف عليه أحد.. فالزفارة واحدة هنا وهنا.. والعنب.. آه من العنب.. قالوا لى إنه للتصوير فقط.. والبرقوق لونين أصفر وأحمر ولكن الفكهانى يهمس لى بحب.. بلاش منه يا بيه.. أنت مش زبون وأنـا عارف إن عندك عيال وتلال البطيخ أمامى ما شاء الله. أربت على واحدة بيدى وأنـاولها له فيهمس لى مرة أخرى.. لأسيبك من دى.. لو عاوز تأكل بطيخ.. خللينى أوصيلك على واحدة.. حتى البطيخ بأه بالمعرفة.. يكلمنى صديقى فى التليفون معتمدًا على أننى رجل مهم ولى علاقات واسعة ويسألنى.. ما تعرفش حد فى الموز.. أقول له.. أشوفلك وأرسلت له فضلة خيركو اتنين كيلو حكاية من فكهانى عقر كان له طلب عندى، أن أدخل له ابنه المدرسة وسنه أقل بأربعة أيام.. ورد علىا صديقى بأن الموز الذى أرسلته حطب.. وناشف تمامًا من الداخل.. وبلا رائحة فاعتذرت له وقلت له ورميتوه؟! قال لى.. لأ قشرناه وإديناه للعيال على أنه نوجه..

أعزائى.. اعذرونى.. أنا فى مشكلة حقيقية.. فـأنا راجل أنفى.. أحب وأكره بمناخيرى ولا تربطنى بأى شىء إلا رائحته.. رائحة العيش والعجين.. رائحة الفول والطعمية.. رائحة من أحب.. رائحة البحر.. ولم أكن أتصور أننى سأعيش فى زمن بلا رائحة.

زمن الحلاوة جبر

لاشك أن مفردات الحياة من حولنا قد تغيرت تغييرًا هائلاً، ونحن بالذات الذين عبرنا قرنين من الزمان لمسنا بشدة هذا التغيير المهول، ولاشك أن أجيالاً ستطلع فى القرن الواحد والعشرين وتنظر لنا النظرة نفسها التى كنا ننظرها لجيل القرن التاسع عشر، ولا يقتصر التغيير الحادث فى المجتمع على الحوار أعنى اللغة التى يتعامل بها الشباب الآن، ولكن السيناريو هو أيضًا تغير.. البصريات كلها تغيرت.. ولن أتكلم هنا عن الاستنساخ أو الفيمتو ثانية وإنما سأتكلم عن أشياء بسيطة.. بل تافهة.. بل لا شىء، ولكنها غيرت من مذاق الحياة وطعمها.

كانت فى منتصف القرن الماضى كل البنطلونات بأزرار.. خمسة أو ستة لا أعرف بالتحديد وكانت أصابع أبى بمهارة شديدة تزرر البنطلون بأيد واحدة ـ وكان يسميه منطلون ـ فكنت أتمنى أن أكبر

حتى أشعر برجولتى مثله، وأتخلص من البنطلون أبو أستك الحقير.. وأزرر.. أعنى أرتدى بنطلونًا بأزرار وكبرت واخترعوا السوستة وتغيرت الحركة وتغير الميزانسين.. مجرد إصبعين.. ممسكًا بمقبض السوستة وأشده لفوق.. كده أنا لبست البنطلون.. أما فيما يختص بكسوتنا السنوية فكان البنطلون (الكاى بوى) على الفانلة (البوكليت) والجزمة (الكاوشت).. عظمة.

وكان أبى يدخل علينا بكيس لونه بيج مصنوعًا من الورق المقوى، تخرج منه رؤوس أرغفة الفينو الساخن، أما الجبن فكانوا يلفونه فى ورق شفاف كان يقال له ورق زبدة.. وكنت ألحس الورقة من طعامتها، أما الفول فكان لا يشترى إلاَّ فى طبق كبير مسلطح يغرف البائع من القدرة بمغرفته ويضع فى الطبق.. فلم تكن هناك علب بلاستيك معمولة خصيصًا للفول العلبة بأربعة جنيهات ـ راتب أبى فى بداية الأربعينيات، ولم يكن يوضع على الإطلاق فى كيس نايلون ويربط من أعلى، ولم تكن هناك مطاعم فاخرة تقدم الفول والكشرى ويأتى الجرسون الأنيق ويضع الفاتورة أمامك لتجد أن الحساب أربعة وثلاثين جنيه.

كانت الحلوى المتاحة لطفل مدلل مثلى لا تخرج عن العسلية أو النوجة، ونبوت الغفير أو السكر النبات.. ويا عينى بقى.. لو كان

سكر جلاب.. وهو يشبه القراطيس بنيه اللون أظل ألوكها فى فمى كأنها فرشة أسنان.

ولم يكن مستساغًا على الإطلاق أن تطلب البقال تلفيونيًا وتطلب طلبات لتأتى إليك كما يحدث الآن تحت اسم "دليفرى"، فالذهاب إلى البقال كانت له طقوس لا يمكن أن تحرم منها فى مكالمة تليفونية، فأنت تدخل الدكان وتبدأ فى تذوق كل شىء. الجبنة الرومى والجبنة الاستانبلوللى والبسطرمة.. وحتى العيش كما فعل الريحانى فى الفيلم، وإذا كان معك طفل صغير يا سعده يا هناه.. سيأخذ له كبشة "أرواح" يعنى ملبس أو طوفى.. فاكرين الطوفى؟! وكان عم هنداوى البقال.. أرق كثيرًا وأطيب جدًا من سانسبرى ومترو و ABC، كانت قطعة الجاتوه التى لا تأتى إلا فى المناسبات لا يزيد ثمنها على قرش تعريفه وكنا نسميها "بسطة" وكنا نجلس فى الشتاء أمام الوابور ونضع أبو فروة على النار، وكل منا يرتدى البيجاما الكستور المخططة وتحت منها شرز (أى بلوفر صوف) ولم تكن محلات الأطعمة بهذه الصورة الرهيبة التى نراها الآن، كان الأكل طقسًا بيتيًا ولم تكن اللحمة عمال على بطال كما يحدث الآن، بل كانت هناك نفحات أسرية من أطباق العدس والبصارة والفولية وسد الحنك والمفتأة.

وفى المناسبات السعيدة كانت الفرخة على الطبلية تتلقفها أمى

بيدها الخبيرة وتفصل الورك عن الصدر بمهارة ويذهب الصدر إلى أبى، تتابعه عيوننا وهو يقطر سمنا حتى يصل إليه، ولكنه بكل حنان كان يقطع نسائر من الصدر ويدسها فى فمى فلا أعترض على الإطلاق.. انتهت هذه الطقوس طالما أن الفرخة تأتى فى علبة كرتون تشبه صندوق الأحذية عليها صورة رجل خواجة بذقن ليس به حنان أمى ولا طيبة أبى.

لم تكن هناك مدن ملاهى كالسندباد ولا كوكى بارك ولا غيره.. وكانت المرجيحة أم تعريفة هى التى ننتظرها بشوق من السنة للسنة، ويعطينى أبى القرش تعريفه لأتأرجح وهو يشعر بعظمة الأب اللى مش حارم ابنه من حاجة.. وكانت حقيبتى المدرسية مثلى مثل كل زملائى هى جزء من قماش المريلة التى هى تيل نادية.. والتى إلى الآن لم أعرف من هى نادية هذه؟ وكانت أمى بمهارة شديدة تحولها إلى شنطة وكل أمهاتنا كن خياطات من الطراز الأول.. ولم يكن فى بيتنا تليفزيون فكانت تسليتنا الوحيدة هى الجلوس فى البلكونة وأمامنا أطباق الترمس والحمص ولب البطيخ (الذى هو بيتى طبعًا)، وعلى سبيل الفشخرة كان الراديو الكبير معلقًا فى البلكونة بجوار حزمة الثوم المجفف الشهيرة، وكنا نتفرج على الناس ـ أو على السيارة، أو الاثنين بالكثير ـ الذين يمرون أمام البيت ليكتمل المشهد الساحر، وفى الصباح كان بابا شارو يسهم بصوته العذب فى رفع درجة حرارة هذا الدفء العائلى.. هذا بالطبع قبل أن يظهر بابا أوبح إلى الوجود..

وكانت الفسحة الأثيرة لدينا هى الذهاب إلى جزيرة الشاى فى حديقة الحيوان، وكانت لا تحدث غالبًا إلا فى أول الشهر حيث يتمطع أبى بقلب جامد، ويطلب ستة كاساتا والكاساتا يا أعزائى من الجيل الجديد هى الأيس كريم أو الجيلاطى كما كان يحلو لأبى أن يسميه كرجل معاه لغات، ولم أر أبى فى حياتى يمسك يد أمى فى جزيرة الشاى برغم أنها كانت تقص شعرها آلاجارسون ولابسه "فستان جميل عضة الكلب".. كان يجلس أمامها بوقار صامتًا ويعاملها باحترام ورقة غريبة كأنهما أغراب، وظلت علاقتهما الأخوية الراقية هذه مبعث اندهاشى وغنائى.. "جئت لا أعلم من أين؟! وكانت فى الترابيزات المجاورة أسر مثلنا بأطفال مثلنا من الطبقة المتوسطة هذه الرائعة.. وكان الكلام العاطفى الذى أصبح مثل الإسهال فى هذه الأيام ليس واردًا فى حوار الحياة، وبعد.. إن هذه الصور التى أراها تتوالى على شاشة ذهنى كتبتها بعينى وليس بأذنى، أردت فقط أن أسجلها حتى تقرأها ابنتى يومًا ما.. فتسخسخ على روحها من الضحك وتتساءل فى استغراب.. بابى.. انتوا كنتوا عبيطين!! معقول كان فيه كده؟!

الانتخابات الطبيعية..
والمطبات الصناعية

تقوم الطبيعة بعمل انتخابات بين الكائنات.. انتخابات حرة نزيهة بلا صناديق ولا بطاقات.. وهذا الانتخاب الطبيعى يتم بناء على قانون البقاء للأصلح.. وليس للأقوى كما يتصور البعض.. فالنمل فى الانتخابات يحصل على عدد من الأصوات أكبر بكثير جدًا، مما تحصل عليه الأفيال، لأن شعب النمل شعب منظم مكافح مثابر محدد الهدف.. وهدفه أن يعيش كما أنه يعمل بمبدأ توفيق الحكيم الكل فى واحد.. هذا بالنسبة للطبيعة.. نيجى بأه للبنى آدم.. فنجده يحاكى الطبيعة فى عمل انتخابات، ولكنها ليست طبيعية وإنما صناعية.. تمامًا مثل المطبات الصناعية التى تعمل بالطرق.. هى مفيدة ولكن أغلبها يخلص على المساعدين بتوع العربية.. فى يوغسلافيا الانتخابات ضرب نار.. ميلوسوفيتش اكتشف فجأة أن الناس لا تحبه.. ووجد الشعب يلتف حول حزب المعارضة.. ذلك هو الانتخاب الطبيعى فماذا

يفعل؟! يسكت!! طبعًا لأ.. يعمل مطب صناعى صغير كده يعدل الدنيا معاه، كام صندوق مضروبين ويتحطوا فى وسط الصناديق ما يبانوش.. واكتشف المعارضون اللعبة وثاروا وتظاهروا.. وأتساءل إذا لم يكن الناس يريدونك.. فكيف تريدهم أنت؟!

اندلعت المظاهرة ضد الرئيس فى بيرو أيضًا من أجل الانتخابات، فالوطن فكرة مقدسة.. حتى لو كان فى بيرو.. والحرية وتقرير المصير مسألة إنسانية غاية فى الخطورة والأهمية حتى لو لم يغن البيرويون.. بيرو حبيبى الوطن الأكبر.

وفى أمريكا بدأت المسرحية الانتخابية التى يشاهدها العالم كل أربع سنوات، مناظرات وخطب وتلقيح كلام.. ولكن كله تمثيل فى تمثيل.. فهذا الشعر الاستعراضى للحرية لا يمكن أن ينفصل عن الفعل.. فأمريكا التى تنادى بالحريـة والديمقراطية وحقوق الإنسان تتناسى دائمًا لا أعرف لماذا؟ أن الفلسطينى هـو إنسان والعراقى أيضًا هو إنسان، ويا أخى إذا لم تعتبرهم كذلك ـ واعتبرناهم من الفقاريات أو الزواحف أو البرمائيات فمئات الجمعيات الغربية المتحضرة.. تحنو على هذه الكائنات وترعاهم، وتحذر من انقراض النوع، ولكنه موسم الانتخابات.. سنسمع كلامًا كثيرًا.. كلام زى العسل عن الحرية وعن حـق الإنسان فى أن يعمل وأن يعيش فى رغد، وأن يركب عربية، وحينما سئل أحدهم عن تعريف للذى يرشح نفسه.. قال هو خادم.. ليس له من هم ولا من شاغل سوى أن يخدم الناس.. وهنا يصح

القول خـادم القوم سيدهم.. وأنا لا أختلف مع التعبير السابق وإنما أريـد أن أعكسه وأقـول.. سيد القوم.. خادمهم.. فأنت لا تخدم حتى تصبح سـيدًا علينا.. وإنما الشرف أن تكون غايتك أن تصبح خادمًا لنا.

وعليه إذا تصورنا.. مجرد تصور أن عضو البرلمان سيحرم من كل مزايا العضوية الأبهة.. والحصانة.. والكلمة النافذة.. وأنه لن يستطيع أن يتوسط لأى حد فى أى مصلحة.. ولن يستطيع أن يحصل على قرض من أى بنك.. وأنه بعد حصوله على كل هذه الأصوات التى انتخبته.. أصبح مجرد صوت.. صوت لهم جميعًا يعبر عنهم ويتبنى قضاياهم وينقل همومهم ومشاكلهم إلى الحكومة.. وبعد أن يبح صوته يعود آخر الليل لعياله ومراته.. فى جيبه جوز جنيهات..

لو تصورنا هذا.. فهل كان سيتكالب على الترشيح كل هؤلاء الآلاف؟! بمعنى آخر.. لو كانت عضوية البرلمان مش جايبه همها، فهل كانت ستشهد الانتخابات كل هذه الصراعات والملايين التى تنفق بلا حساب؟ سمعت أن أحدهم وضع فى دعايته الانتخابية موبايل لكل مواطن.. وآخر يدفع مصاريف المدارس لعيال الناخبين، وآخر على قده شويه عمل كيس فيه اتنين كيلو لحمة وقزازة زيت بل وسمعت أن ناخبة ناجحة عملت جمعية لكل ناخب وقبضته الأول.. وعلى رأى الجبرتى.. والكل فى بهجة وسرور.. وفرح عظيم.

النوم سلطان

لابد أن النوم بالنسبة للإنسان يعد أهـم إنجاز بشرى عرفه على الإطلاق.. فنحن نقضى ثلث الحياة كلها نائمين، فـإذا تصورت يا عزيزى أنـك تنام ٢٥ سنة تقريبًا فى حياتك، فأنت لا تقل عن أهل الكهف فى شىء.. سوى أنك تنام بالتقسيط.. وهم فعلوها "كاش" ولكن هل قضى أهل الكهف حياتهم بعد أن أفاقوا من غفوتهم الطويلة مستيقظين؟! لا أعتقد ذلك.. أتصور أنهم خرجوا من الكهف واندهشوا وتكلموا شوية ثم تثاءبوا عند القيلولة وراحوا مقيلين.. والنوم مسرحية من ثلاثة فصول، الفصل الأول.. الاستعداد للنوم.. حيث ترقد على السرير تتصفح كتابًا.. وتظل تتقلب فى الفراش بحثًا عن الوضع المثالى.. هـذا يحدث كـل يـوم، وكأنـك أول مـرة تنام فى حياتك.. أما الفصل الثانى فهو طويل شوية.. وهو الغيبوبـة بما فيـها من أحـلام وكوابيس وشخير، وترفـع رجل وتنزل بها على النايم

جنبك، هذه التصرفات الكثيرة نعلمها جيـدًا.. أمـا الفصل الثالث فهو ما بعد الإفاقة.. إشكالية ترك الفـراش والانخراط فى الحيـاة مـع الناس بمشاكلهم وقرفهم.. فالفراش هو المكان الوحيد فى العالم الـذى يـدع الناس الإنسان فيه بمفرده، ولذا حرص فولتير الكاتب الفرنسى أن يبدع كل مؤلفاته وهو تحت اللحاف.. ومارك توين الكاتب الساخر أيضًا كان لا يكتب إلا "كنباوى" أى وهو نائم على الكنبة.

ويقال إن روسينى الملحن الشهير كان يلحن إحدى أوبراته وهو فى الفراش، وسقط منه اللحن على الأرض وأنزلق بعيدًا عنه.. فبدلاً من أن ينهض ليأخذه كتب لحنًا آخر و"النوم سلطان": تعبير دقيق ورائع يعبر عن هيمنة النوم على الإنسان مهما كانت الظروف، وهؤلاء العشاق الساهرون فى ضوء القمر.. كاذبون فى أصل وشهم.. لأنهم ينامون بعد ذلك للعصر.. وحينما كانت نجاة الصغيرة تقر على حبيبها قائلة: أنا رمشى ما داق النوم وهوه عيونه تشبع نوم.. لم تذكر لنا أن المسألة اختلاف مواعيد، وأنها كانت جاية من أمريكا ومش عارفة لسه تظبط نومها..

وفى مؤتمر القمة العربى لقطة للوفد الفلسطينى وهو يغط فى نوم عميق، فى تعسيلة إجبارية برغم خطورة الموقف وحساسيته لكن

تعمل إيه.. أما ييجى محدش يقدر عليه، وإخواننا الأعضاء السابقون فى مجلس الشعب كان الله فى عونهم.. يا دوب الواحد منهم بيفقر تأتى الكاميرا اللعينة.. فيوكزه الجالس بجواره.. اصحى.. فيفيق مذعورًا.. ويدعك عينه ويهمس له.. هما بيقولوا إيه.. يرد عليه زميله.. بيتكلموا ع القروض.. يرد النائم فى زهق.. هما لسه ما خلصوش القروض دى.. اخطف لى ربع بأه.. ولكنه سرعان ما ينتفض على تصفيق حاد فى القاعة يوقظه من أحلاها نومه، فينهال بيده مصفقًا فى حرارة ويسمع رئيس المجلس وهو يعلن.. موافقه..يسأل زميله هامسًا.. هما وافقوا على إيه.. ولكن زميله لا يرد كان هو الآخر فى سابع نومه.. ولذا أنا أتصور أن يقسم أعضاء مجلس الشعب قسمين.. نائب فى البرلمان.. ونائم فى البرلمان، وحبذا لو استخدم المخدة كرمز له فى دعايته الانتخابية.. فلان الفلانى.. رمز المخدة.. خير من يعسلكم، والنوم هو حالة إنسانية فريدة خالية من الذنوب والأحقاد والصراعات.. ولذا ارتبط بأكل الرز مع الملائكة.. وقيل إن نوم الظالم عبادة.. دلالة على أنها الفترة التى لا يقترف فيها ذنوبًا، فأنت برىء برىء برىء حتى إذا رأيت فى نومتك أنك على شاطىء الريفيرا مع باميلا أندرسون بالبكينى فى عناق حار، وهى كما جاءت فى الحلم بتموت فى التراب اللى أنت بتمشى عليه.. تقبل عليك ضاحكة..

مثيرة وترشك بالماء.. وأنت تجرى منها فى تقل وفتاكة.. ولكنها تصرخ فى دلال وترشك بالماء.. بالماء.. تنتفض من نومك صارخًا مين اللى وقع الشفشق من على الكومودينو.. إنه ابنك الملعون.. فتصرخ فى زوجتك أيها الخبيث.. مش عارف أنام فى بيتى يا ناس.

مكتبتنا
بيت الكتب

يا ولاد ستين كامب

لماذا ظل ياسر عرفات يعزم على باراك لمدة ثلاث دقائق فى أن يدخل أولاً إلى حجرة المفاوضات؟ بعد أن سمح كل منهما لكلينتون أن يدخل أولاً.. وهو بالطبع كرجل أمريكى سبور دخل علطول.. فهو لا يفهم هذه العزومات العربية.. ثم بعد دخوله.. بص وراه مالقاش الناس اللى جايه معاه.. فطلع لهم كلينتون وقال لهم مثل عادل إمام فى مدرسة المشاغبين ح أعمل إضراب لوحدى ولا إيه؟! ما تدخلوا.. قال له ياسر عرفات طلاق بالثلاثة ليخش باراك الأول.. ما يصحش ده حتى على يمينى.. وقال له باراك والنعمة الشريفة ما اخش.. ده حتى أكبر منى فى السن والشيبة لها احترام..

وكانت تلك هى أول أزمة تواجه مفاوضات كامب ديفيد الأخيرة، وقد تعامل معها كلينتون بنفس المنطق الذى أتصور أنه سيحاول أن تسير به المفاوضات أنا.. أنت.. يا عم أنا داخل أهوه.. إنه يريد أن

تنتهى الليلة بسرعة فهو قدامه كام شهر ويلبس الجلابية وحاطط فى دماغه نجيب محفوظ، اشمعنى ياخد نوبل وهوه مايأخدش؟ والمنطق يقول إن عرفات هو الذى كان يستحق أن يدخل أولاً.. فهو صاحب الحق المسلوب، ثم يدخل باراك فهو اللص ثم يدخل كلينتون فهو الفتوة الذى جاء لكى يفض الخناقة.. ومع ذلك وعلى استحياء ظل عرفات يتراجع عن الصف مثل إسماعيل ياسين فى الأسطول، حتى وجد الشاويش يصرخ فيه نط يا عسكرى إسماعيل، فلماذا كانت هذه العزومة وإصراره على أن يكون الأخير فى الدخول إلى حجرة المفاوضات؟ أعتقد أنه كان خايف يكون فيه كلب جوه ومسيبينه فأصر أن يتأكد من ذلك بنفسه.. والاحتمال الثانى أنه خشى أن يدخل وحده.. يقوم باراك وكلينتون قافلين الباب من بره ويطلعوا يجروا..

أما الاحتمال الثالث والأخير فهو أنه خشى أن يدخل وحده فيطلع له عفريت السادات الله يرحمه.. أعزائى.. هذا هو كامب ديفيد بارت تو.. وأنا لا أتفاءل إطلاقًا بالأجزاء الثانية من الأفلام الناجحة.. فكلها غالبًا.. تفشل وتكون طويلة مملة وتائهة.. عمومًا مش مهم الكامب.. المهم الكيف والقدس هى المشكلة الكبرى.. القدس عروس عروبتنا كما قال مظفر النواب.. وهى ارتكاريا المفاوضات فبمجرد ذكرها.. يتعصب باراك ويطوح الطاقية اللى على دماغه..

وياسر عرفات يلطم على العقال اللى لابسه.. وتبوظ القعدة.. ويقوم عرفات غاضبًا وباراك أيضًا.. وكلينتون يصرخ فيهما.. صلواع النبى يا جماعة ولكنهم عند الباب.. بمجرد ما أن يقتربوا من الباب يمد عرفات يده لباراك مشيرًا له اتفضل يا أخى.. أنت على يمينى ويرد باراك معقولة.. يا راجل.. العين متعلاش على الحاجب.. ويرد عرفات بس أصل ما يصحش.. وتستمر الخلافات.. هنا فقد كلينتون أعصابه.. وقال لهم عليا النعمة من نعمة ربى أنا كرهت عيشتى بسببكوا.. ده أنا اللقمة مش عارف أكلها فى البيت الأبيض من ساعة ماجيتوا.. أنا سايبهالكوا، وطار كلينتون إلى اليابان يائسًا حانقًا تاركًا الآنسة مادلين أولبرايت لكى تكمل المفاوضات راجيًا كلاً من باراك وعرفات ألا يجرحا شعور الآنسة.

آرسين.. لوبين..

وضع الرجل يده على كتف آخر كان يرتدى بالطو جميلاً من الكشمير وقال.. آسف جدًا مش برضه الأستاذ كمال عباس من بحرى فى إسكندرية.. أجاب الرجل الآخر فى شىء من الضيق.. كلا لست أنا.. فأجاب الرجل حسنًا اسمح لى أن أعرفك بنفسى.. أنا كمال عباس والبالطوه ده بتاعى..

وبرغم طرافة الموقف، فإنه يعكس معنى غاية فى الأهمية.. فالأخ كمال عباس واثق تمام الثقة أن البالطو الذى يرتديه الرجل الآخر هو بالطو كمال عباس، ربما أكثر من ثقته بأنه هو كمال عباس نفسه.. ثم إن الرجل الذى يرتدى البالطو اكتفى بسرقته للبالطو.. وحينما سئل هل أنت كمال عباس.. أنكر ذلك يعنى أنه سرق البالطو، ولكن لم يسرق اسم صاحبه كمان فهو نصف لص، وهو يشبه على بابا الذى سرق من المغارة كنوز الأربعين حرامى، ولكنه كما تقول الحدوتة.. كان قنوعًا فى سرقته بعكس قاسم الحرامى الثانى الذى لم يفعل أكثر مما فعله على

بابا، ولكن إيده كانت أطول شويه.. وانتصرت الحدوتة للحرامى القنوع على بابا ضد قاسم الحرامى الجشع والأربعين حرامى الأثرياء.. والحدوتة فى رأيى يجب تغيير عنوانها إلى الاثنين وأربعين حرامى.. إذا اعتبرنا أن الست مرجانة شاهد ملك فى القضية، أو لنجعلها تسافر خارج البلاد قبل النطق بالحكم وقد هربَّت معها نصف المغارة، ويظهر أن المؤلفين زهقوا من تقليدية انتصار الخير فى النهاية والقبض على اللصوص، فبدأوا يخترعون صورا من اللصوص يحبهم الجمهور ويتعاطف معهم.. وكانت شخصية أرسين لوبين اللص الظريف الذى يسرق من الأغنياء ويعطى الفقراء.. ويهلل الفقراء وهم أغلبية طبعًا لهذا الحرامى الفريد، ويربت الأب على كتفى ابنه الصغير ويقول.. إلهى وانت جاهى أعيش وأشوفك حرامى يا بنى.

واستطاع أرسين لوبين أن يجعل قلوب الجماهير تخفق معه وهو يكسر خزنة، أو يسرق صندوق مجوهرات من قصر أحد الأغنياء.. وكل الأفئدة تدعو له.. ربنا يوفقك ويديك على قد نيتك يا أرسين يا ابن لوبين، طالما أنه فى المشهد التالى يهبط على أسرة فقيرة لا تملك ثمن العشاء.. ويرش عليهم رشة جريئة.. اثنين كيلو كباب وكفتة مع السلطات ويأخذ الأم الفقيرة فى أحضانه وهو يغنى لها الست دى أمى شقيانه طول عمرها.

ولكن أرسين لوبين الذى يأخذ من الأغنياء ويعطى الفقراء..

اكتشف أن اللعبة مش جايبة همها، فلم تعد قصور الأغنياء يمكن اقتحامها بهذه السهولة.. فعلى بواباتها حراس وبودى جاردات لا يمررون النملة من تحت عقب الباب.. ولم يعد الأغنياء يخبئون كنوزهم فى صناديق مقفلة وشكمجيات وخزائن لم تكن تحتمل طفاشة من أصابع أرسين لوبين.. صارت ثروات الأغنياء مجرد أوراق واعتمادات بنكية وقروضًا على الورق، ومشروعات معظمها فى أمريكا وسويسرا، أو فى الهوا، ولأن هذه الفلوس أساسًا هى فلوس الفقراء فما جدوى أن يعيدها أرسين إليهم هذا إذا نجح فى ذلك يعنى.. ومات أرسين لوبين حزنًا على فكرته العبقرية التى أصبحت فلاش باك.. ومات فقيرًا بالطبع بعد أن وزع كل سرقاته على الفقراء الذين ذهبوا ـ وبمحض إرادتهم ـ إلى الأغنياء وأعادوها إليهم.. وكبر لوبين الابن.. وقرأ كل حواديت أبيه القديمة.. ثم ألقى بها جانبًا وقال لنفسه.. معلش.. سأبدأ من الصفر.. ولكنى سأعيد أمجاد المرحوم.. وطلع الأتوبيس ووقف وراء فريسته.. موظف تبرز من جيب جاكتته محفظته المنتفخة براتب أول الشهر.. فى البداية قال لنفسه لابد أنك مرتشٍ.. ولابد أنك تعقد كل شىء وتعرقل مصالح الغلابة، هكذا وجد المبرر الدرامى لكى يسرقه، وضرب يده بمهارة وتلقف المحفظة.. وقفز من الأتوبيس.. خمسمائة جنيه.. مبلغ لطيف كبداية.. سيسعد أسرة لا تجد قوت يومها..

فى المساء أخذ يتنقل بين الأزقة والحوارى بحثًا عن المشهد الثانى من الأسطورة الأرسينية اللوبينية الشهيرة.. واسترق السمع فوجد بغيته.. ولولة وبكاءً.. وأطفالاً يتضورون جوعًا.. وضع اللثام على وجهه وطرق الباب فتحت له امرأة هزيلة بائسة.. امسك المبلغ وقدمه لها.. اندهشت.. ذهلت.. صرخت.. يا كريم يا رب.. وجرى زوجها من الداخل.. فيه إيه يا تفيدة.. قالت مش قلت لك يا عبد العاطى محدش بينام من غير عشا وينظر لوبين الابن.. إلى الرجل زوج المرأة ويتأمله.. ولكن يشاء السميع العليم ويا للمصادفة المهولة.. أن يجده شخصًا آخر غير الموظف الذى سرق محفظته!! سبحان الله..

المحتويـات

جات الأميرة تفرح مالقيتلهاش مطرح!!	٩
ليالى العمر.. مع دودى	١٥
وعليكم الكلام	٢٠
الناس ح تقطع بعض يابو حميد..	٢٦
الإسكندر ودانه مقطوعة	٣١
حكايات الشوارعى	٣٥
بلاد كوش	٤١
أنا.. و.. مونرو.. وميللر	٤٥
مرسيه لسه شارب	٤٧
بلا أدنى شك	٥١
سعيكم مشكووووور	٥٥

يا بانى فى غير ملكك	٦٠
جوابات من القرن اللى فات	٦٣
فصوص من الدم	٦٨
شفتوا العروسة.؟ آآآاه شفتوا العريس؟. الله!!!	٧٢
ما أشبه الليلة بالبارحة	٨٤
الثمن غالى جدا	٨٨
الطريق الجديد	٩٣
ما نجيلكوش فى حاجة وحشه	٩٨
شىء من الخوخ	١٠٣
زمن الحلاوة جبر	١٠٧
الانتخابات الطبيعية.. والمطبات الصناعية	١١٢
النوم سلطان	١١٥
يا ولاد ستين كامب	١١٩
آرسين.. لوبين..	١٢٢